الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

# نقد أيديولوجي أم واقعي ؟ قراءة في كتابات محمود أمين العالم

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص نقد أدبي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
حداد تواتية

إشراف الأستاذ:
بوقرط الطيب

السنة الجامعية

2022/2021م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم الدراسات الأدبية والنقدية
تخصص: نقد أدبي حديث و معاصر

مذكرة لنيل شهادة ماستر الموسومة ب :

# نقد أيديولوجي أم واقعي ؟ قراءة في كتابات محمود أمين العالم

إعداد الطالبة:
حداد تواتية

إشراف الأستاذ:
بوقرط الطيب

أعضاء لجنة المناقشة :

.....

.....

.....

السنة الجامعية

2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

# الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر الى:

الله سبحانه وتعالى الذي أمن عليا بالصبر
والصحة والعافية، وألهمني حب العلم والتعلم لخوض
هذه التجربة في اتمام ما بدأت به.

الأستاذ المحترم الدكتور **بوقرط الطيب** على
تفضله بالإشراف على هذه المذكرة وعلى كل ما قدمه
من مساعدات وتوضيحات.

السادة أعضاء اللجنة على قبولهم مناقشة هذه
المذكرة

# الإهـــــداء

إلى سيدة النساء جميعا.
إلى التي غمرتني بعطفها ودفئها وحنانها.
وآثرت إسعادي على سعادتها.
إلى من قاسمتني بهجتي ومسراتي.
الحبيبة. أمي . إلى
يامن كان قلبها قلب صبي ..وصبرها صبر نبي ..
إليك فقط أرسم امتناني اللامحدود..
وقُبلات محبة وإكرام...
القمر البهي، نبراس العطاء المتجدد/ أدعو الله أن يتغمده برحمته إلى الواسعة.

أبـــــي:

- إلى الكواكب الزاهرة دوما :
أقاربي جميعا دون استثناء .وأخص أخوتي :حليمة و عائشة
-الشكر لله أولا وأخيرا لأنه مجيب لدعائي.
- إلى الأستاذ : بوقرط الطيب إشراقا وإشرافا، لك مني العرفان كله، والثناء كله، على صبرك الجميل كله...
- إلى كل أساتذة وطلبة الأدب العربي بجامعة عبد الحميد بن باديس الذين خلدوا عندي شغف المعرفة وحب الاطلاع وكنت بينهم طالبة علم وحلم ...
- إليكم مني جميعا أرسم قُبلة إجلال وإكبار على هامات جمالياتكم الشاهقة والدافئة ....

# مقدمة

**مقدمـــة:**

ظلت ثنائية الواقع والإيديولوجية منيعة الاختراق،عصيّة عن الكشف والمساءلة،تختزن ذخائر رمزية مفعمة بالتحيز والهيمنة في الكتابات العربية والغربية على السواء، خاصة في النصوص الأكثر استحضارا للمظاهر الاجتماعية والواقعية،والأنساق الفكرية والإيديولوجية، حيث يعتبر تجلّي الإيديولوجية بالخطابات عامة من أهم الأطروحات التي تتسنم ذرى السلالم القيمية العليا في ثقافتنا العربية .وقد شهدت الساحة النقدية زخما كبيرا،حيث تناولت هذه الظواهر في غاية الدقة والحرج،إذ ازدادت اتساعا وعمقا لأن المبدع لا يعيش بمنأى عن واقعه، ولا يبتغي التملص من هويته، فكانت اللغة هي محور الصراع الدائم بوصفه الركيزة الدالة والرامزة والمرآة العاكسة للخوالج النفسية لذات المبدع، هكذا ينكشف من خلال الإرهاصات المبدئية الدور الخطير الذي تحققه إيديولوجية الكلمة و إيديولوجية العلامة ومخابئ المعنى التي تتخفى خلف جماليات الخطاب وتمويهاته الفنية .

يحاول هذا الجهد البحثي عبر القادم من وريقاته أن يقف عند حدثي الواقع والإيديولوجية، وأثرها في لغة وخطاب محمود أمين العالم وكيف تجسدت الظاهرة واكتسحت ملكوت كتابته الأدبية من مؤلفات وروايات التي شهدت انهيالا جامحا وغير مسبوق في نوعه على المستوى العربي .فما الذي حدث عنده حتى استطاع أن يقحمنا في البحث وسبر أغوار نصوصه الثرّة بإيديولوجية وواقع ؟ وما مدى استجابة القراء لفك مرموزات مقالاته وفرز الواقع والإيديولوجية منها؟ ما العلاقة بين الواقع والإيديولوجية خاصة داخل الرواية العربية؟

لقد تضافرت عدة دوافع ذاتية وموضوعية دفعتني لخوض هذا الموضوع دون غيره، حيث استدعى انتباهي الكم الهائل لكتابات محمود أمين العالم،وهو دافع حافزي ومستفز لأي باحث في النقد العربي المعاصر ليندفع ويرتمي في غمار هذا المشروع .كما دفعني

أمر آخر أسرى بي إلى أعتاب هذا المشروع هو اهتمامي بمصطلح الواقع والإيديولوجية في الكتابة العربية مما يجعلني آنس بهذا الموضوع الراهن المثير.وانطلاقا مما سبق، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي بغية ترصد التوقيعات الايديولوجية وتقاطعها ترسيمات الواقع بداية من وصف الحالة والنبش عن مدى توفرها بمؤلفات محمود أمين العالم .

لقد ارتضينا لهذا العمل فصلين اثنين تتجاذب أطراف مضامينه وبسط لكل إشكالياته المتشعبة أولهما الفصل النظري رصدنا فيه مفهوم الواقع بين المفهوم والتأسيس أيلغة واصطلاحا، وطفنا في الواقعي عند العرب مقارنين الأمر بما وجد عند الغرب، لنقف مليئا عند الواقعية وتياراتها الفكرية وخاصة الواقعية الاشتراكية، وتناولنا الإيديولوجية وعلاقتها بالعلوم الأخرى،وبداية علاقتها بالفلسفة، الإيديولوجية والأدب، ثم الإيديولوجية والنقد،ووقفنا عند نقطة جوهرية تناقش ثنائية الإيديولوجية والواقع ومدى التماسك الضمني والجوهري بينهما .أما الفصل الثاني فقد وسمناه بتجليات الواقع والإيديولوجية بكتابات محمود أمين العالم،وفيه استعرضنا سيرته الذاتية،كما تعرضنا لوجود هذه المصطلحات ورهانات دفاعه عنها من خلال مجموعة من مؤلفاته التي حزنا عليها، وبداية مع كتاب الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية، حيث ناقش فيه منابع الإيديولوجية وكيف تُستنبت من واقع الأديب، وتصفحنا كتابه الوعي والوعي الزائف وكيف سرد أحداث العرب وثورتهم المعرفية وطي التخلف الحضاري وامتطاء صهوة التقدم الغربي، وكان الحظ الأوفر مع مدونته في الثقافة المصرية التي بعج فكره الإيديولوجي مع ثلة من العلماء وأسقطه على الواقع المصري المكبل آنذاك بمخلفات الاستعمار البريطاني، ويسدل الستار عن مجريات تأثير الثقافات المتنوعة والهويات المتباينة وتعدد الديانات والرؤى العقدية والقناعات السياسية لتظهر على جلباب الفكر والواقع الأدبي والنقدي في الآن نفسه .وكأي باحث وقفنا تائهين بين وفرة كتبه الجانحة إلى فكر فلسفي عميق يفوق طاقتنا العلمية وحسب الأمر من أهم الصعوبات التي عرضت طريق بحثنا هذا.أضف إليه مصطلح الإيديولوجية الجانح و المتفلت بين يدي النقاد حيث

صَعُب تحديد هويته لتشعبه، مع شحة الدراسات التي تناولته، خاصة مع عسر التنقل للمكتبات للظروف الصحية التي تعيشها البلاد.

وقد انتهينا إلى خاتمة مختصرة تحوصل أجدر النقاط التي توصلنا إليها في بحثنا من خلال خلاصة النتائج التي وقفنا عندها؛ معتمدين على ما أفرزته عصارة جهدنا في ثنايا الفصلين وكُتب محمود أمين العالم التي تتعتع لغة الفكر والمنهج، يتغيا من خلالها النهوض بالفكر العربي والخروج من قوقعة القديم ومواكبة التحضر والحضارة .

وفوق كل هذا ، فالشكر موصول إلى أستاذنا المشرف الدكتور بوقرط الطيب على سنده المعرفي و المعنوي و الإنساني ،فله منا أسمى عبارات التقدير و الاحترام

مستغانم بتاريخ : **22-05-2022م**

الطالبة: حداد تواتية

**مدخل:**

## 1- محمود أمين العالم - حياته

يعد محمود أمين العالم ناقد مصري ومفكر يساري وأحد أقطاب حركة اليسار في مصر وألقاب كثيرة أطلق عليه أصدقاؤه وتلاميذه وأطلق عليه اسم :"العميد والعمدة والمعلم وهو العالم ولاشك في جدارته التي تحصل عليها مسيرته الطويلة من النضال بطول عمره المديد حمل فيها تاريخا مليئا بالتجارب" [1] ولد الناقد محمود أمين العالم شهر فيفري عام اثنان وعشرون وتسعمائة وألف بحي الدرب الأحمر بمصر، ثم زاول دراسته مع الشيخ السعدني، حيث يقول محمد أمين العالم في كتاب اعترافات شيخ الشيوعيين، في اليوم الثامن عشر فبراير عام 1922 ولد في حارة الكعكمين بحي الدرب الأحمر أكثر أحياء القاهرة القديمة شعبية ولعله أكثرها شهرة أيضا، وكشأن كل أبناء جيلي في ذلك الوقت التحقت بكتاب الشيخ السعدني لأتلقى فيه مبادئ القراءة والكتابة قبل أن أنتقل إلى المدارس الرسمية [2]وبعد ذلك انتقل إلى مدرسة النحاسين رفقة جمال عبد الناصر ويقول محمود أمين العالم " ثم انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة النحاسين الابتدائية وهي على مقربة من جامع الحسين، وعلمت بعد ذلك أن جمال عبد الناصر كان معي بنفس المدرسة وإن كان يسبقني بعامين. "[3]

ويقول العالم أيضا :" وبعد حصولي على الشهادة الابتدائية التحقت بمدرسة الإسماعيلية الثانوية بميدان السيدة زينب كان ذلك في عام 1935 الذي شهد أحداث سياسية عاصفة بسبب إلغاء دستور 1930 . انتقلت إلى مدرسة العلمية الثانوية التي حصلت منها على شهادة البكالوريا التي تسبق الالتحاق بالجامعة. "[4]

---

[1]- سليمان حكيم، اعترافات شيخ الشيوعيين محمود أمين العالم. ط1 مكتبة مدبولي القاهر ،ط1، 2006 ،ص11.

[2]- المرجع نفسه، ص14.

[3]- سليمان حكيم، اعترافات شيخ الشيوعيين محمود أمين العالم. ط1 مكتبة مدبولي القاهر ،ط1، 2006 ، ص14.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما نشأ وترعرع محمود أمين العالم في أسرة متدينة ومحافظة على العادات والتقاليد يقول :" وهكذا أنشأت في أسرة دينية اكتسبت لقبها " العالم من انتساب معظم أفرادها للأزهر الشريف كما كان حي الدرب الأحمر الذي امضيت فيه ثلاثين عاما الأولى من عمري هو المناخ الذي تنفست فيه ثقافتي و تشكل فيه وجداني، و هو حي البروليتارية في القاهرة القديمة وفد اكتسبت فيه ذلك الوقت، فكان اسمه من الحرف و الصناعات التي كانت منتشرة فيه في ذلك الوقت و كان شارع النحاسين نفسه لعمال النحاس، و شارع الخيامة نسبة لصناع الخيم." [1]

اختار محمود أمين العالم أن يدرس الفلسفة في تخصصه، ولكن شغفه للعلم دفعه لاختيار موضوع لمشروع أطروحته للدكتوراه يجمع بينها و بين الفيزياء .[2]

انتسب في شبابه للحزب الشيوعي المصري (4)[3] و يعد محمود أمين العالم أحد أقطاب الحزب الشيوعي المصري،و قد واكب التطورات التي حلت بالماركسية و التي تمثلت عنده النظرية الوحيدة التي تعرف بالشيوعية التي تشير إلى أفكار في تنظيم سياسي، و يعتبر من أهم الشيوعيين المثقفين الذين يركن إليهم في الأبحاث السياسية، و كان عضو باللجنة الدائمة في الحزب الشيوعي المصري (الواحد)، "وهي لجنة تكونت من ثلاثة أشخاص كان يعهد إليهم إعداد أهم الأبحاث الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية الخاصة بالدعاية"[4].

و يعرف الاشتراكية في قوله: " الاشتراكية ليست مجرد نظام تحققه دولة، الاشتراكية مبدأ إنساني اكتشفه العقل البشري أيضا في كل مجال خاص بحسب احتياجات هذا المجال"[5] فهذه الاشتراكية لا يقتصر على النظام و القانون الذي تسطره السلطة الحاكمة ، بل يتعداه الى تأسيس مبادئ وقيم جد هامة . و الاشتراكية نظام اقتصادي و سياسي يمتاز بالملكية الاشتراكية لوسائل الإنتاج.

---

[1]- سليمان حكيم : اعترافات شيخ الشيوعيين محمود أمين العالم ، ص19.

[2]- صلاح عيسى، شخصيات لها العجب، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، 2012 ،ص430.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المرجع نفسه ،ص453 .

[5]- المرجع نفسه،ص453.

ألقي القبض على المفكر محمود أمين العالم وهو في عمر 37 عام يقول: "اسمي محمود أمين العالم سني 37 صحفي و مولود بالقاهرة " دخلوا بعض رجال البوليس و طلبوا تفتيش مسكني فسمحت لهم بذلك و قاموا بتفتيش البيت فوجدوا مجموعة من الكتب اختاروا جزءا منها و أخذوها و طلب مني الضابط أن ألبس و اخرج معهم، فخرجت و ركبنا العربة و حضرنا الى هنا "[1]. سأله المحقق عن الكتب التي أخذت من مسكنه فأجابه العالم في قوله:" كتاب رأس المال لكارل ماركس و كتابات في النقد الأدبي للأديبين روسيين قبل الثورة، و بعض الكتب الصينية لمارتسيتونج و بعض الكتب اللبنانية المترجمة و بعض الجرائد و المجلات التي ترد إلي بالبريد من بعض البلاد العربية، وكتب أخرى لماركس و لينين في الاقتصاد السياسي"[2] فصل محمود أمين العالم من الجامعة التي كان يدرس فيها يقول: " الواقع أنني فصلت من الجامعة بقرار من مجلس قيادة الثورة أنا و أربعة و ثلاثون من هيئة التدريس دون تحديد أي سبب ." [3]

" كان محمود طوال هذه السنوات نموذج المناضل الصلب، الثابت على مبدأ في غير جمود" [4] يرى الدكتور عبد الحليم عطية ومن ألف معه الكتاب الذي عنون " دراسات مهداة لحمود أمين العالم " كون العالم نموذج يقتدى به في فكره وأعماله، وقد ترك بصمة عريضة في مصر و في العالم أجمع، وقد شهدوا له صورة للمفكر الفيلسوف الأديب الناقد السياسي، محسوب في العالم في سبيل إظهار درجة الوعي و الثقافة التي يمتلكها، و هو الذي يتقدم بخطوات للتعبير بصدق نحو مجتمع يسعى لتغييره و في هذا الصدد يقول أيضا: "ظل محمود أمين العالم على الدوام أمينا مع نفسه و مع رفاقه لا يتردد في نقده لذاته في الفكر أو الممارسة، و مراجعة أخطائه

[1]- صلاح عيسى، شخصيات لها العجب ، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط2، 2012 ،ص453 .

[2]- المرجع نفسه ، ص453

[3]- المرجع نفسه، ص454.

[4] - أحمد عبد الحليم عطية وآخرون : دراسات مهداة إلى محمود أمين العالم في عيدة الماسي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط 1999، ص27

بشجاعة "[1]، كما شهد عبد الحليم عطية أن محمود أمين العالم كان صادقا أمينا لا يخون سواء مع نفسه أو مع غيره يمارس النقد و يراجع أخطاءه بشجاعة فهنا الكاتب يمارس نقدا على شخص محمود أمين العالم و أعماله وخصوصيته.

فهو في مقدمة كتابه الوعي و الوعي الزائف ينقد فكره و تقييماته الخاطئة خلال المرحلة الناصرية على الرغم من:" المكانة التي أحلتها و الإسهامات البارزة التي قدمها في ذلك الحين في ظل نظام وطني تقدمي وفي شتى المناصب الرفيعة التي تقلدها في ميادين الصحافة و الثقافة و النشر عن قناعة و إيمان،لا عن أصولية أو تسلف مثل غيره من أقطاب ذلك الزمان و الذين قادوا نظاما وطنيا إلى حتفه."[2]

لقد عالج عبد الحليم عطية و آخرون في كتاب الوعي و الوعي الزائف باعتباره مؤلفا للدكتور محمود أمين العالم فيقدمون آراءهم حول الكتاب باعتباره ينقد إبداعه و فكره الذي عد من أهم المشاريع الثقافية و الفلسفية و السياسية و راح يعالج الوضع الذي كان سائدا في وطنه آنذاك بكل حب و وطنية، يقول الكاتب أيضا عن عقلية شخصية و حرية تفكيره.

كان محمود و لا يزال ديمقراطيا واسع الأفق لا يرفض الآخر أبدا مهما اختلف تقييم المفكرين و الأفكار و الفلسفات في جوانبها الايجابية و السلبية و على ضوء :"رؤيته و فلسفته و منهجه الماركسي الراسخ، المنهج الجدلي التاريخي الطبقي و الاجتماعي، و لعل المنهج هو أبرز أسلحته على الدوام و الأساس الذي يبقى عليه تقييماته النقدية في الفلسفة و الأدب و السياسة، أخطأ أو أصاب."[3]

وعليه فلقد كان لينين:" بانجازاته السياسية و الفكرية هو مفتاح الدخول إلى الفكر الماركسي"[4]و نلاحظ من هذا المنطق إن محمود أمين العالم و رفاقه يهدفون إلى تغيير الواقع المعاش نحو الأفضل و باسم تحقيق التقدم خاصة في الفكر و كذلك ميلة الى الفكر العالمي و معالجة قضايا المجتمع ومحالة إيجاد حلول جذرية لها.

---

[1]-المرجع السابق ، ص27 .

[2]- أحمد عبد الحليم عطية وآخرون : دراسات مهداة إلى محمود أمين العالم في عيده الماسي ، ص37.

[3]-- المرجع نفسه،ص 38.

[4] - المرجع نفسه ، ص30

واستنادا على سبق أن كتاب دراسات مهداة إلى محمود أمين العالم في عيده الماسي يعكسها احتواه، فقد قدمت دراسات لشخصه و لأعماله تمدح ما تركه من فكر و ثقافة و سياسة و غيرها من الأعمال التي شغلت خزانة المصري محمود أمين العالم.

توفي محمود أمين العالم في عام 2009.

**2 – أعماله:**

ترك محمود أمين العالم عدة مؤلفات مهمة و منها:

1- ألوان من القصة المصرية، دار النديم، 1900، تقديم د طه حسين، اختيار وتعليق نقدي لمحمود أمين العالم.
2- قصص واقعية من العالم العربي، دار النديم، 1907، اختيار و تقديم : غائب طعمة فرمان، و محمود أمين العالم.
3- في الثقافة المصرية، بالاشتراكات مع د عبد العظيم أنس، ط 1، 1900، دار الفكر الجديد، بيروت، ط 2، دار الأمان، 1988، ط 3، دار الثقافة.
4- معارك فكرية ط 1، 1965، دار الهلال، ط 2، 1970، دار الهلال، ترجمة روسية 1974، دار التقديم، موسكو.
5- الثقافة و الثورة، دار الآداب، 1970، بيروت.
6- تأملات في عالم نجيب محفوظ، 1970، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة.
7- فلسفة المصادقة 1971، دار المعارف، القاهرة.
8- هربرت ماركيوز اة فلسفة الطريق المسعود، 1972، دار الآداب، بيروت.
9- الإنسان مواقف، 1962، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت.
10-الوجه و القناع في المسرح العربي المعاصر، 1973، دار الآداب، بيروت.
11- الرحلة الى الاخرين 1974، دار روز اليوسف، القاهرة.
12- البحث عن أوربا، 1975، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت.

13-توفيق الحكيم مفكرو فنانا، ط1، دار القدس( بلا تاريخ) ط2، دار شهيدي، 1984، القاهرة ط3، دار قضايا فكرية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1994. [1]

14- ثنائية الرفض و الهزيمة، دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الملة إبراهيم، 1985 دار المستقبل العربي القاهرة.

15- الوعي و الوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ط 1، 1986، دار الثقافة الجديدة ط2، 1988، الدار البيضاء المغرب.

16- الماركسيون المصريون و الوحدة العربية، المكتبة الشعبية، دار الثقافة الجديدة، 1988 ، القاهرة.

17- مفاهيم وقضايا إشكالية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1989.

18- أربعون عاما من النقد التطبيقي، البنية و الدلالة في القصة و الرواية العربية المعاصرة، دار المستقبل العربي، 1995، القاهرة.

19- أغنية الانسان( ديوان شعر) دار التحرير،1970، القاهرة.

20- قراءة لجدران زنزانة (ديوان شعر) وزارة الإعلام العراقية، 1972.[2]

---

[1]- محمود أمين العالم، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، دار المستقبل العربي، القاهرة. مصر د.ط، ص 238-237

[2]- المرجع نفسه، ص238 .

# **الفصل الاول: بين النقد الأيديولوجي و النقد الواقعي**

## I. الأيديولوجيا بين المفهوم و التنازع النقدي :

### 1.1- الاطار المفاهيمي للأيديولوجيا

### 2.1- الأيديولوجيا وتنازعها النقدي مع العلوم الأخرى

أ- الأيديولوجيا و الفلسفة
ب-الأيديولوجيا و الأدب
ج- الأيديولوجيا و النقد
د- الأيديولوجيا و الواقع

## II. الواقع بين المفهوم و التأسيس :

### 1-الواقع

أ- لغة
ب- اصطلاحا
ج- النقد الواقعي عند العرب
د- النقد الواقعي عند الغرب

### 2- اتجاهات الواقعية

أ- الواقعية الطبيعة
ب- الواقعية الاشتراكية
ج- الواقعية الانتقادية

## I. الأيديولوجيا بين المفهوم والتنازع النقدي

### 1-1-الإطار المفاهيمي للأيديولوجيا Idiologie

- نحن أمام مصطلح يتعسر فيه الخروج بتعريف وحيد ودقيق يحدد ماهية الأيديولوجيا، لأنها كلمة دخيلة على جميع اللغات الحيّة، فقد أُشير إليها في الأصل الفرنسي إلى :" علم الأفكار"[1].ويعود فضل التسمية إلى المفكر الفرنسي - أنطواندوستوت دي تراسي – الذي استعمل هذا المصطلح لأول مرة سنة 1801،حين سلط عنه الضوء بكتابه :" تخطيط لعناصر الأيديولوجية" وقد أكد على أساس إيحائها لعلم الأفكار، وهي لا تبتعد كثيرا عن المفهوم اللاتيني الذي شطرها إلى كلمتين IDEO – LOGIE الكلمة الأولى ideoتعني الفكر أما الكلمة الثانيةlogie فتعني العلم . وقد استعمل- بيكون- :" ideoللدلالة على مصدر الخطأ .أضف إلى ذلك أن إدراكه أن المجتمع والتقاليد قد يصبحان مصادر للخطأ هو استباق مباشر لوجهة النظر السوسيولوجية"[2] وهذا ما يخلق تركيبا دلاليا كثيفا يتمحور في مضمونه حول علم الأفكار.ولعل المعجم النقدي لـعلم الاجتماع لصاحبه – ريمون بودون و فراسو بريكو- يؤكد على أن :" أنطواندوستوت دي تراسي، الذي صاغ كلمة أيديولوجيا في نهاية القرن الثامن عشر، كان يقصد الدلالة على علم الظاهرات العقلية التي ظهر له اختراعها يفرض نفسه كنتيجة لفلسفة أولباكوهيلفتوس المادية، وفلسفة كوندياك الحسية" [3].فهي تتابع الأفكار من خلال الإحساسات إلى جذورها المادية .

يتضح مما سبق أن كلمة إيديولوجيا تعني علم الأفكار، ولكن لم تحتفظ بالمعنى اللغوي فهي في نظر الألمان الذين أخرجوه إلى معنى آخر، فلا غرابة بأن لا يجد هذا المصطلح الفضفاض تعريفا راسخا

---

[1]--عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 1993 ،ص9

[2]- محمد عناني، المصطلحات الادبية الحديثة، دراسة و معجم انجليزي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ، ط1، 1996 ، ص 42

[3]--ريمون بودون وفراسو بريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع،تر: سليم حداد،ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت، ص 84.

وواضحا، أو ترجمتها لكلمة بيّنة وقارة ف:"ليس الغريب من هذه الحالة أن يعجز كتاب الغرب عن ترجمتها بكيفية مرضية، إن العبارات التي تقابلها – منظومة فكرية عقيدة ذهنية تشير إلى معنى واحد من بين معاينها "[1]

وباختصار فالأيديولوجيا في معناها العام عبارة عن علم الأفكار تعتنقها جماعة معينة تجمع بينها خصوصيات أو عوامل مشتركة، فلكل جماعة إيديولوجيا تنطلق منها للتعبير بآرائها واتجاهاتها .

تعد الأيديولوجيا نظام فكري أو نسق من الأفكار التي يعتنقها مجموعة من البشر وتحدد رؤية العالم أو تفسير ظواهره، وترسم من ثم أسلوب مواجهة الحياة وقد يتضمن النسق بعض التناقضات ولكنها تستخدم بطريقة تخفي تناقضها عمن يعتنقونها"[2].وهكذا ينكشف مدى العلاقة المتينة بين الإيديولوجيا وعلم الأفكار. فالفكرة التي تعتنقها جماعة ما قد تشهد اختلافا عن فئة أخرى، إذ قد تتعلق هذه الرؤى إما بالسياسة أو تفسير ظواهر التي نسميها إيديولوجيا الرؤية إلى العالم، إذ الاختلاف الكامن في الطرح وطريقة التناول ومعالجة القضايا وفق ما يضمره معتنقوها .وفي ضفة أخرى وبنفس الطرح يرى الناقد المعاصر حميد الحمداني في كتابه " النقد الروائي والإيديولوجية " " أن الأيديولوجيا من العلم ولكنها لا تتطابق معه، وجوهر اقترابهما يكمن في النظر إلى الذات باعتبارها المتأملة في الموضوع، موضوع الأيديولوجيات بشتى تنوعها، وهي لذلك تصبح وعيا للوعي، أي بحثا معرفيا في معطيات الوعي ذات الحضور الموضوعي، ولا تهدف على الرغم من ذلك إلى مطابقة الآيديولوجيا كرؤية للعالم بالأيديولوجيا كمعرفة "[3]، فالناقد المغربي يحصر الايدولوجيا في الذات الصانعة للحدث وللموضوع ويتملص من الموضوع الذي يمثل النص، فمعرفته لا تتراوح المنهج النفسي الذي يعد سياقيا مقارنة بلبنية النصية وهكذا الناقد العروي يبدع برؤيته الفذة حين يعلن عبر مقولته: "إن

---

[1]- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط5، 1993، ص 9.

[2]- محمد عناني، المصطلحات العربية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان ط1، 1996، ص42.

[3]- حميد الحمداني : النقد الروائي والإيديولوجية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1990 ،ص 24.

الايدولوجيا معرفة الظاهرات الآتية والجزئية في مجال نظرية المعرفة ونظرية الكائن – ونقصد بها كائن الإنسان المتعامل مع محيطه الطبيعي – تتضمن أحكام حول الحق ووظيفتها إظهار الكائن للإنسان الذي هو جزء من ذلك الكائن، ويقودها هذا الاستعمال إلى الجدلية "[1].إذن الإيديولوجيا نظام فكري يعمل إلى إظهار المخفيات والمقاصد المضمرة والتي نعتها – كارل يسبرس – Karl Jaspers- بالنفعية فيقول فيها :" هدفها الجوهري خدمة للغاية المراد بلوغها عبر وسائط تُخفي الحقيقة الموضوعية عن الذات المعتقدة بها" [2] وهذا الأمر يجعل من الإيديولوجيا حضورا إنسانيا بل اجتماعيا لتتسع الرؤية وتشمل مناحي الحياة المختلفة معتقدات وسياسات ناهيك عن الجانب الاقتصادي الذي اهتمت به الفكر الماركسي .

**2-1 - الأيديولوجيا و تنازعها النقدي مع العلوم الأخرى**

**أ- الأيديولوجيا والفلسفة**

حظيت الإيديولوجيا باهتمام الماركسية، إذ أنها تمتاز على غيرها من المذاهب وتقدم نظرية عن الأدلوجة نسميها فيما يلي أدلوجياء فهي تجيب عن السؤال التالي : ما هي الأسباب التي جعلت الفكر الإنساني في كل أدواره يرى الأشياء طبقا لدعواه هو،لا طبقا لذاتها هي ؟ في هذا الاستعمال يقابل مفهوم الأيديولوجيا بمفهوم الحق، الحق هو ما يطابق ذات الكون والآدلوجة ما يطابق ذات الإنسان فيالكون "[3] إذ لكل واحد منا نظريته الخاصة به. نسميها نظرية أيدلوجية يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفية تظهرها دائما مطابقة لما يعتقد أنه الحق . وقد تطور هذا المفهوم عند كارل ماركس – KARL Marx- (1818،1883).:" إن ماركس هو الذي أعطى لكلمة أدلوجة الأهمية التي تكتسبها اليوم،في كل مبادئ البحث"[4]. ولقد لعبت الفلسلفة دورا مهما في هذا المصطلح، لكنها ليست الفلسفة بالمعنى الضيق، بل الفلسفة العلم الذي ينظر لهذا الكون المتغير، بوصفه سلسلة من صراعات اجتماعية ناجمة عن طبيعة التفكير

[1]- عبدالله العروي، مفهوم الإيديولوجية،ص13.
[2]-المرجع نفسه، ص29.
[3]- المرجع نفسه ، ص 9 .
[4]-المرجع نفسه ، ص34.

والعقل ومدى تجاوبه مع العالم المحيط به؛ لذا فقد ارتبط تصوّر كارل ماركس لمفهوم الأيديولوجيا بنقد الفكر الألماني وعدّه فكرا وهميا لأنه متجردا من التاريخ فهو يذكر:" تفسّرون أوهام الآخرين بحب السيطرة و التقليد والتربية الفاسدة فكيف تفسّرون نشوء فكركم النقدي .إنكم تلغون التاريخ الواقعي وبإلغائكم إياه تملؤون أذهانكم بالأوهام، وتعرضون عن معرفة الواقع، فكركم إذن أدلوجي غير علمي"[1]. كما أقرّ في كتابه "الأيديولوجيا الألمانية" بأن الأفكار التي تسود الواقع الاجتماعي هي نتاج الطبقة الحاكمة أو ما عرف بالبنية العليا في مصطلح ماركس فقال:" إن أفكار الطبقة السائدة هي في كل عصر الأفكار السائدة أيضا، يعني أن الطبقة التي هي القوة المادية السائدة في المجتمع هي في الوقت ذاته القوة الفكرية السائدة، إن الطبقة التي تتصرف بوسائط الإنتاج المادي تملك في الوقت ذاته الإشراف على وسائط الإنتاج الفكري " [2] وهذا ألتوسير الذي يقدم فلسفته الماركسية على أساس الوجود المادي للأيدولوجيا، ووظيفتها أن تسمي الأشياء بغير أسمائها و أن تعطي الوقائع المادية اسما مهذبا، وعلى ذلك تكون الأيديولوجيا أساسا لتبرير المصالح الاقتصادية المادية، وتبرز هنا سيطرة السلطة والطبقة الحاكمة المُسيرة لشؤون الأمة وتتلاشى جهود الإنسان البسيط في خدمة السلطة.ومن هنا اتسع مفهوم المصطلح بين مختلف الفلسفات ولم يخضع لمفهوم قار وانفتح على مجالات عدة ومتباينة، فيعرضه الفيلسوف الإيطالي – أنطيونيوغرامشي – Antoine Grmasci- (1891-1937). لقد عرفت الأيديولوجيا محاولات تأصيل وضبط للمفهوم عبر مختلف الفلسفات بخاصة الفكر الماركسي فكان " الاهتمام والتساؤل عن شكلها ومضمونها وكيفية اشتغالها وعملها أو وظيفتها في المجتمع، إحدى أكبر المشكلات الكبرى التي شغلت حيزا ومجالا أساسيا في حركة التفكير الماركسي " [3]،ومن جهة ثانية لنظرة – غرامشي – يُوسع من مفهوم الإيديولوجيا حين تنظر للعالم من حيث القيم والمواقف والسلوكات وكل الممارسات البشرية في

[1]- عبد الله العروي، مفهوم الأيدولوجية ، ص34.
[2]-كارل ماركس، فريدريك انجلز والأيديولوجية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق،د.ط، د.ت، ص56.
[3]- بلحسن عمار، أدب الايديولوجيا ،المؤسسة ا لوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1984 ،ص11 .

ميادين الأدب والسياسة والاقتصاد فهي عنده :" تصوّر للعالم يتجلى ضمنيا في الفن والقانون والنشاط الاقتصادي، وفي جميع تظاهرات الحياة الفردية والاجتماعية" [1].

وحين نقف عند منظر الإيديولوجيا الفرنسي –لويس ألتوسير--LouisAltheusser (1919-1990). الذي يجد أن الإيديولوجيا نسق من التصورات داخل مجتمع واحد في حقبة زمنية تعيش ضمن بوتقة جغرافية موحدة :" إن الإيديولوجيا هي نظام له منطقه الخاص وصرامته من التمثيلات ( صور، أساطير، أفكار، أو مفاهيم ـ اعتماد على الحالة) . لها وجود تاريخي،ودور داخل مجتمع معطى، ويمكننا القول دون الخوض في مشكلة العلاقة بين العلم وماضيه الإيديولوجي بأن الإيديولوجيا تتميز عن العلم بوصفها نظام تمثيلات، بأن الوظيفة العملية الاجتماعية فيها أكثر أهمية من الوظيفة النظرية، الوظيفة كمعرفة " [2] . هنا يبرز النزاع بين وظيفتين هامتين، وظيفة اجتماعية وأخرى وظيفية معرفية، ويعترف ضمنيا أن الإيديولوجيا لا تُوصلنا إلى المعرفة المطلوبة ويصرح :" إن العلم دائما في متناول الذهن البشري، بشرط أن يخضع لحركة الموضوع، و الأدلوجة ملازمة للإنسان لأنه يتوهم أنه حر، ووهم الحرية شرط تكوين المجتمع كهيئة موضوعية مستقلة عن إرادات الأفراد، إن الأدلوجة المواكبة للوجود الإنساني تحجب العلم عن الإنسان، لكنها عاجزة عن نفي العلم الذي هو ملتصق بالموضوع"[3] كما يطرح ـ لويس ألتوسير – على أساس الإيديولوجيا تتجسد واقعيا عبر أجهزة السلطة أو الدولة التي تعمل جاهدة في إقرار النظام وإبراز الهيمنة فـ :" الوظيفة الأساسية للإيديولوجيا هي إعادة إنتاج النظام، تدريب الأفراد على القواعد التي تحكم النظام" [4].حيث تصدر السلطة قرارات و ضوابط تحكم طبقات المجتمع ، ويتدرب أفرادها و ينصاغوا لتلك النظم و القوانين المسطرة .

---

[1]- المرجع السابق، ص 12.

[2]-بول ريكو، محاضرات الأيديولوجيا واليوتيوبيا، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2002،ص207.

[3]- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا ، ص122.

[4]- بول ريكو، محاضرات في الإيديولوجيا، ، ص 216.

وقد كان للنقد العربي حظ وافر للتعبير عن رأيهم بصرامة في ثنايا كتبهم التي تعالج هذا المفهوم وبداية مع عبد الله العروي ( 1933) الذي أفرد كتاب خاصا أطلق عليه مفهوم الإيديولوجيا ليحدد فوق المعنى الوظيفة وحقل استعمالها فهو يفضل لفظة – أدلوجة- على ميزانها الصرفي – أفعولة- فيقول بداية:" أدلوجة والجمع أداليج أو أدلوجات،وأدلج إدلاجا ودلج تدليجا،وأدلوجي، والجمع أدلوجيون، نقول إن الحزب الفلاني يحمل أدلوجة، ونعني بها مجموعة القيم والأخلاق والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد "[1].فقد أنطلق كارل ماركس الذي يعـــد أول من استعمل مصطلح الأيديولوجيا في علم الاجتماع في بناء الأساس الفكري لفلسفته المادية التاريخية، ينقد الفكر الألماني، وبخاصة اليسار الناقد للوضع الفكري والسياسي القائم آنذاك. من هذا المنطلق يعتقد ماركس أن فكر اليساريين ( المعارضين ) الذي يؤسس لديمقراطية تعلي من سطوة التسلط والاستبداد وتبشر بحرية فردية حقيقية بالاعتماد على فرضيات العقل البديهي فكرا أيديولوجيا وهميا لأنه لا يعتمد على التاريخ كتطور واقعـــي يقول ماركس " تفسرون أوهام الآخرين بحب السيطرة والتقليد والتربية الفاسدة .....إنكم تلغون التاريخ الواقعي بإلغائكم إياه تملئون أذهانكم بالأوهام وتعرضون عن معرفة الواقع، فكركم إذن إيديولوجي غير علمي " [2] فهو يؤكد على النظرة المادية الخالصة لهذا المصطلح" المياه الواقعة، من استعراض نشاط الإنسان وعملية تطوره المادي "[3].كما ركزت الماركسية على اعتبار الأيديولوجيا وعيا زائفا وعملية ذهنية يقوم بها المفكر وهو واع ولكنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، كما أن الأفكار متعلقة – في نشأتها – بحركة الفرد والمجتمع ويتصل تطورها بالتقسيم الطبقي وبالقوى الاقتصادية وعلاقات الإنتاج وبالتالي فإن جميع الأفكار والمذاهب عند الماركسيين مشروطة بالمواقف التاريخية، وما صراع الطبقات إلا انعكاس لشمولية الإيديولوجيا لكل الأشكال القانونية والدينية والفلسفية " فالطبقة التي تملك وسائل

[1]- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، مرجع سابق، ص9.
[2]- المرجع نفسه، ص23 .
[3]- المرجع نفسه، ص34.

الإنتاج المادي تملك أيضا وسائل الإنتاج الروحي " [1]وبالمقابل أن الطبقة التي لا تملك وسائل الإنتاج أي التي لا تمتلك عنصر القوة نجدها تتبنى إيديولوجية الطبقة المهيمنة، وتعتمدها في الحياة اليومية بطريقة آلية من دون وعي فعلي بما تعتقده، فتعتمدها في ممارستها الحياتية بوعي زائف يسير مواقفها من المجتمع، كما أن وضعية الإنسان في المجتمع أو انتمائه الطبقي هو المحدد الأهم في نمط أفكاره وتصوره للتاريخ، على أن نشاط الإنسان ليس فرديا بل جماعيا، و به تحدد الفئات الاجتماعية من خلال الدور الذي تقوم به في الحركة الاقتصادية، والبنية الإيديولوجية هي البنية التي يعي فيها الناس علاقاتهم وصراعاتهم ونشاطاتهم، في مقابل البنية السياسية والحقوقية القانونية التي تحتضن تلك العلاقات .

حقيق أن الإيديولوجيا هنا في مجال المناظرة السياسية تخلق تفكيرا وهميا، وتمتلك تقريرات حول المجتمع والواقع، فالمتكلم هنا يرى أن إيديولوجيته الخاصة عقيدة تعبر عن الوفاء والتضحية، ويشن على غيره الذي يرى أن إيديولوجية خصمه عبارة عن قناع تسير وراءه نوايا يمكن أن تكون حقيرة لئيمة، فإن دراسة الايدولوجيا في الميدان السياسي لا يحكم عليها من زاوية الحق والباطل

وهنا يعني أن الأيديولوجيا لها دلالتان :

إحداهما إيجابية ⟵ المتكلم، والأخرى سلبية ⟵ المخاطب

وفي هذا الإطار يتولد لدينا ما يسمى بالصراع الإيديولوجي السياسي .

ومن خلال ملاحظة عبد الله العروي في الإيديولوجية في معناها السياسي نجد أنه ينظر إلى الأيديولوجية السياسية من خلال المنظومة التالية :

[1]- ابراهيم زكريا ،مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر الفجالة ،مصر، دت، دط ،ص179 .

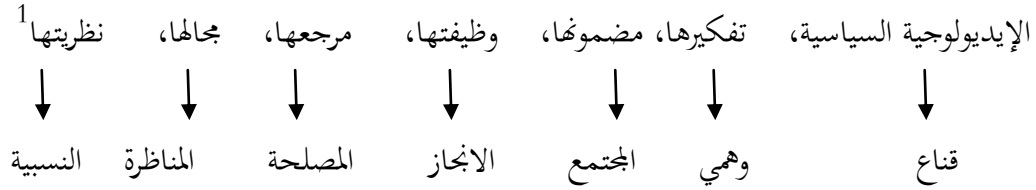


من المخطط تظهر أن –تيربرون – G.THerberon- يؤكد على أن الإيديولوجيا السياسية ترتكز على طبقة اجتماعية وفق ما اصطلح عليه "الإطار التاريخي" وهي أيضا :" ترتكز على مقولات أخرى أشار إليها، منها القبيلة، القرية، العرق، الدولة النسب"[2].فتتحدد الإيديولوجيا عبر وظيفتها وليس عبر وجودها المجرد فهي نسق عام فـ:" تتميز الإيديولوجيا بوصفها نسقا للتصور عن العالم، من حيث أن الوظيفة العملية الاجتماعية تتغلب فيها عن الوظيفة النظرية المعرفية"[3].يقتضي أن نفهم أن الأيديولوجيا تنزع دوما نحو الشمولية في رؤيتها للعالم.

[1]-حميد الحمداني : النقد الروائي والإيديولوجية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1990 ،ص15

[2]- نيكلا وسآركومي وآخرون، دور الحتمية واللاحتمية في النظرية الإيديولوجية، تر: نبيل زين الدين، مجلة فصول،العدد3، ماي 1985،ص58-59.

[3]- جي بويللي، اجتماعية الأدب، حول اشكالية الانعكاس،مجلة فصول، العدد الثاني،مجلد1، 1981،ص80.

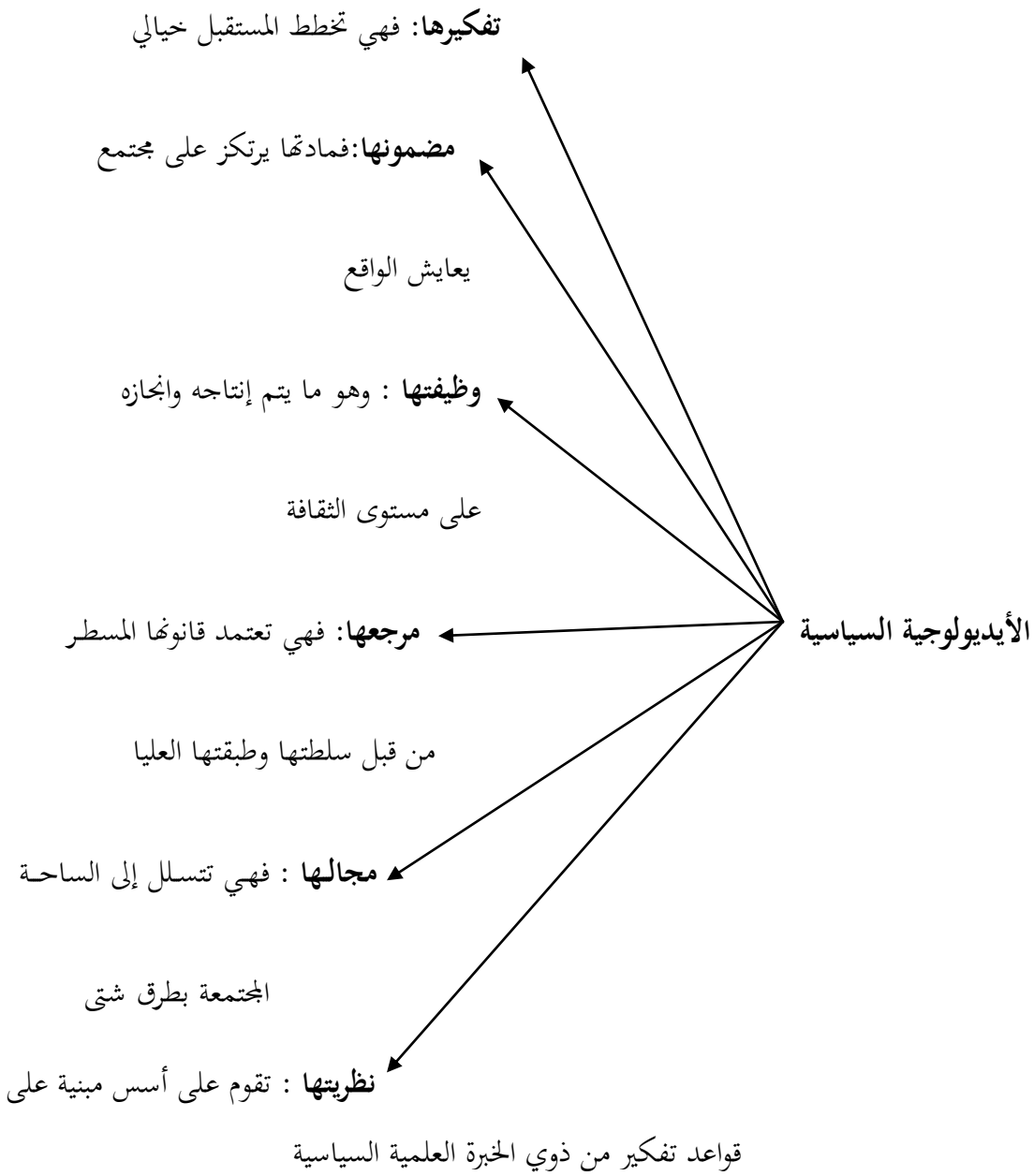


وتفسير لذلك فان الايدولوجيا نسبة للمتكلم ايجابية وسلبية نسبة للمخاطب . وهي تخطيط ناتج عن بنية فوقية،تقترب من الخيال يمتد ظل تفكيرها حتى يمتزج بالخيال أحيانا، لها رؤية مستقبلية ثاقبة تستبق أحدث عصرها الراهن، وفي الآن نفسه فمادتها ومرتكزها هو المجتمع فهو نخاعها الخفاق وقلبها النابض، لأنه يجبرها على معايشة الواقع، وتتلاشى عنده الوهمية الزائفة والزائلة من وجهة نظره بل

وقناعته،لكنها تلجأ إلى مادتها القانون، وتحمل شعار القانون فوق الجميع، وتُقصي كل من خرج عن قانونها، ويحيد عن نظامها الاجتماعي، فهي تكرس معتقداتها السلطوية بحكم طبقتها العلوية، التي تبنيها من ساسة وذوي خبرة ومنهجية علمية دقيقة.

**ب-<u>الإيديولوجيا والأدب:</u>**

يتلازم حضور الأدب مع وجود مجتمع،حيث لا يتولّد أدب إلا في وجود جماعة، وواقع الأديب وشخصيته ونفسيته وحياته الاجتماعية تنبثق عنه مواقفه الأدبية لأنه وليد بيئته فهو يغترف من معين قومه، و لا يمكن سبر أغوار النص الأدبي إلا داخل الإطار الاجتماعي وواقع المبدع، فالأديب حين يتحرك بذهنه نحو بنى جاهزة ويصنع نصه، فهو يكشف عن إيديولوجيا عن طريق لغته وفق الأساليب التي يأنسقها محاولا فتح شهية قارئه عبر الأفكار والأبعاد الاجتماعية، فيرصدها في شكل صور فنية وشعرية مبدعة تعكس واقعه وفق تصوّره الإيديولوجي المبطَّن بالأنساق والخطابات المنبثقة وحيواتها القارة بين الخطابات الأخرى .فهناك برزخ يشترك فيه النص والمبدع والإيديولوجيا وتتجلى فيه تقنيات التأثير والتأثر، حيث كتب الدكتور الجزائري فيصل الأحمر، ونبيل داود في كتابهما: " لقد ارتطبت الإيديولوجيا بالأدب منذ بداياته المبكرة دون أن يكون الأديب على وعي متبلور، أو إدراك معتمد بهدف توظيفها في مضمونه الفكري، فطموحه اقتصر عي تقديم وجهة نظر قد تكون مباشرة أو متضمنة في السرد أو الوصف أو الحوار أو المنظور الفكري بصفة عامة"[1]. ويتمادى – سولرز – في تبسيطه وتفكيكه للنص الأدبي حين يعرضه في ثلاث مستويات، طبقة سطحية، ومتوسطة، وعميقة:" فالطبقة السطحية للنص هي الكتابة ( الألفاظ، والجمل، والمقاطع،..) أو ماهو مكتوب فعليا، وهي تُقرأ بوضوح، والطبقة الوسطى هي التناص أو الجسد المادي للنص، وهو لا يُكتب من جمل وكلمات، وإنما هو من نصوص، حيث تتقاطع الكتب فيما بينها، وتُحمل إلى

[1]- فيصل الأحمر ونبيل داود، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة الجزائر، د.ط، 2008،ج1، ص35.

نطاق أبعد من حدودها ـ وذلك داخل النص المجمل، والطبقة العميقة هي الكتابة وانفتاح النص" [1].فصار الأدب نتاجا إيديولوجيا مرتبط بالتاريخ الذي يحدده، وعلاقاته الاجتماعية :" الأدب هو إنتاج إيديولوجي، يتواجد في علاقة مع اللغة ومختلف أشكال استعمالها، فهو إنتاج لا يوجد إلا في مع العلاقة مع الإيديولوجيا ومع التاريخ، تاريخ التشكيلات الاجتماعية، وتاريخ الإنتاج الأدبي وتطوّر أدواته وتقنياته الأساسية ومواد عمله" [2]. فهو يطرح قضية انفتاح النص الأدبي على النشاط المعرفي الذي يحدثه الإنسان المبدع، فالنص غير منته الدلالات نتوقع منه كل الإيحاءات المتباينة، لكونه متكون من بنى متتالية تتعالق فيما بينها، تُجبر القارئ في تقصي معانيها من خلال الكتابة وتأويلات النص. إذن هناك علاقة تعاشق بين :" الإيديولوجيا والأدب علاقة كون الأدب شكلا من أشكال الإيديولوجيا، وخطابا خصوصيا من خطاباتها فهو من إنتاجها" [3]. من هنا يعد الأدب صورة من صور الإيديولوجيا و نتاجها ويجسد نوعا من خطاباتها .

**ج- الأيديولوجيا والنقد**

سنفهم أيضا تشاركا جديدا بين الإيديولوجيا والنقد الأدبي حين يحكيان ويتجاذبان أقطابا ثلاثة ( المبدع، النص، القارئ).فيقدم " تيري أنجلتون " في مؤلفه – النقد والإيديولوجية – منظورين متعارضين يوضحان العلاقة الفاصلة بين الإيديولوجيا والنقد الأدبي :

أولا : يرى في النقد والفن عامة مجرد أيديولوجية أخذت شكلا فنيا،وبالتالي فإن الأعمال الأدبية بجميع أصنافها وأجناسها هي حبيسة الوعي الزائف، وهي عاجزة أمام زخم الإيديولوجيا وتياراتها العاتية للوصول إلى أعتبا الحقيقة، ومن جهة ثانية يرى أن الإبداعات الفنية هي مجرد انعكاسات لواقع أو إيديولوجيات سائدة .

[1]- عزام محمد، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص21.
[2]- عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجية، مرجع سابق، ص50.
[3]- المرجع نفسه، ص 53.

ثانيا: يرى :" أن الفن الأصيل يقوم دائما بتصعيد حدود الإيديولوجية لعصره، مانحا إيانا تبصّرا بوقائع تعمل الإيديولوجيا على إخفائها عن ناظرينا"[1] .وقد نجد ناقدا مثل بارت وبمشروعه النقدي باسطا رؤاه حول مفهوم النص فيقول:" تعددت تعريفاته للنص الأدبي بتعدد المراحل النقدية، التي مرّ بها منذ المرحلة الاجتماعية، وحتى المرحلة الحرة، مرورا بالبنيوية والسيميائية"[2].ويعرض إجلتون إدعاء وجود علاقة معقدة بين النص والإيديولوجيا فهو يعتقد :" أن الإيديولوجيا ليست حقيقة النص وحقيقة النص ليست جوهرا ولكنها بالضبط ممارسة علاقتها بالإيديولوجيا، وبالمعنى نفسه ممارسة علاقتها بالتاريخ على أساس من هذه الممارسة يشكل النص نفسه كبنية : إنه يفكك الإيديولوجيا لكي يعيد تشكيلها حسب شروطه النسبية المستقلة الخاصة به، ولكي يعالجها ويعيد صياغتها في الإنتاج الجمالي في الوقت نفسه الذي يعمل فيه على تفكيك نفسه بتأثير من الإيديولوجية عليه، وبهذه الطريقة تشوّش جديد وطازج للنظام في النص وفي الإيديولوجية، وبالتالي فإن بنية النص هي نتاج هذه العملية وليست انعكاسا للظروف الإيديولوجية المحيطة،إن النص أيضا يعمل على إضاءة العلاقة بين الإيديولوجية والتاريخ الواقعي" [3] وبالتالي يعتبر النص فضاء خصبا يستوعب المواقف والتجارب الإنسانية فيعالجها ويعيد تشكيلها من جديد، فيقدم أفكارا ودلالات لا تكف عن التمظهر والاختلاف المتجدد:" تقوم الكتابة الأدبية ومجمل أشكالها بتنظيم الإيديولوجيا ووضعها في شكل جديد هو النص الأدبي هذا الأخير الذي يعتبر أيديولوجية أدبية " [4]. وفي حديثه عن النص – فان ديك- الذي احتل محل البلاغة واعتبرها سابقة تاريخية له وحدد في كتابه – علم النص-بنية النص من خلال ظاهرتي الاتساق والانسجام فبدأ:" ببيان أوجه عدم كفاية نحو الجملة لوصف ظواهر تجاوز حدود الجملة، وعدّ النص وحدة أساسية لا تستوجب

[1]- تيري إجلتون، النقد و الإيديولوجية، تر" فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان الأردن، د.ط، 19912، ص11.

[2]- عزام محمد،النص الغائب، ، ص21.

[3]- تيري إجلتون، النقد والإيديولوجية ، ص11.

[4]-عمار بلحسن، الأدب والإيديولوجية، ، ص53.

تحولا كميا في المعايير، ثم ميز هذا الإطار الموسع (النص) وخصّه بمصطلح نحو النص، أو نحو الخطاب، أو أجرومية النص" [1]وهو لا يستسيغ الوقوف على جملة واحدة في فهم الكلام :" وصف الكلام عند الجملة الواحدة غير كاف، إذ لابد من الانتقال إلى وحدة أكبر هي النص " [2]لأن النص هو مجموعة جمل تشترك في معنى سياقي يعالج أيديولوجية معينة ويقول عمر عيلان بكتابه في مناهج تحليل الخطاب السردي :" فاللغة في ارتباطها بالبنية المجتمعية، وتعبيرها عن الوعي، تتحول إلى جملة من الأدلة الإيديولوجية الرامزة والوعي لا يتحقق إلا إذا امتلأ بحمولة إيديولوجية، وبما أن اللغة هي أكثر الوسائط اتصالا بحركة الفكر، فإنها تصبح دلائل مجتمعية مرسومة بخصائص الفئة أو العصر الذي تنقله، فالكلمات منسوجة من خيوط إيديولوجية عديدة لا تحصى، إنها لحمة العلاقات المجتمعية بجميع مجالاتها، ومن ثم فإن الكلمة ستكون المؤشر الأكثر ملموسية لكل التحولات المجتمعية " [3] فقيمة النص تتحدد بصيغة اندراجها المُضاعفة في التشكيل الإيديولوجي، وبهذه الطريقة يدخل النص في علاقة محدودة مع القيم والاهتمامات والحاجات والقوى والطاقات المحددة تاريخيا والواقع الذي يحيط به، لأن :" النص مصنوع من الكلمات لا من الحاجات، بل إنه يبني نفسه ويشكلها داخلا في علاقة مع العلامات الإيديولوجية التي يشكل نظامها الرمزي"[4].

فلو عدنا إلى فهم الأدب وتذوقه فإننا نقول أيضا بحتمية وجود النقد،فالنقد ظل للأدب وطيف له، ومهمة النقد هي إزاحة لثام المعرفة بين القارئ والنص، فيدرس النص ويفكك رموزاته الغائرة السطحية منها والعميقة، ليصبح أسهل استهلاكا، فللنقد حياته الخاصة وأدواته المميزة في فك شفرات النص،له بنياته وقوانينه التي بها يشكل

[1]- البحيري سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997، ص183.

[2]- خليل إبراهيم محمود، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر، عمان، ط1، د.ت، ص195.

[3]- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، د.ط، 2008، ص270.

[4]- - تيري إجلتون، النقد والإيديولوجية، ، ص220.

نظاما معقدا داخل النص،إن اللحظة التي تبدأ فيها الممارسة النقدية تنطلق بدءا من التحليل النفسي والتاريخي مع الانعكاس الذاتي للقارئ الذي يرسم فضاءات تشكلت منها إيديولوجية النص الأدبي :" إنها بالأحرى نتاج الخطاب العلمي، الذي أنتج ضمن الإيديولوجية ولعب دوره ضمن ذلك التشكيل الإيديولوجي."[1] ولقد أُستلهم تاريخ النقد من مظاهر تاريخ طقم التشكيلات الإيديولوجية لممارسات نقدية بعينها من بين مستويات أخرى إن :" علم تاريخ النقد، هو علم المحددات التاريخية لهذا التعين الشديد للجماليات الأدبية"[2].وينتهي بنا الأمر على أساس أن النص الأدبي بجمالياته ولغته هو عبارة عن رسالة بنيت وفق نظام محدد مشحون بمفاهيم وشفرات يقوم الباحث بغربلتها وتصنيفها و إبراز :" الخواص الناجمة عن توافق جملة من عمليات التشفير، وعلاقاتها الجدلية، وتراتبها البنيوي، مما يجعلها تؤلف شفرة أدبية عامة "[3].فتصور الباحث وفهمه للنص ضمنيا يحدد العلاقة بين المتلقي وفرضيات الإيديولوجيات المطروحة والمبثوثة بذلك النص، فالنص نظام لغوي يأمر وينهى ويمنع ويقمع ويقصي ويتحيز إلى غير ذلك من المزايا فبات من الضروري دراسة كل العلامات الكامنة وقراءة ما بين السطور، وإثارة معاني وإضاءات العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تجسد إيديولوجية وفق علاماته وأساليبها كما هو شأن –فوكو – حين وصف الكتابة الأدبية بقوله:" قلب منهجي لعلاقة القوة بين الحاكم والمحكوم إلى مجرد كلمات مكتوبة، بيد أنها ( الكتابة) سبيل من سبل إخفاء المادية المروعة لإنتاج محكوم ومروض على هذا النحو من الضيق البالغ" [4].من هنا علينا فهم أن النقد الأدبي كحقل معرفي ومهني لا يعيش بمعزل عن غيره من العلوم فله خيوط تُدين له وتتداخل مع الإيديولوجيا .

---

[1]- المرجع السابق، ص29.

[2]-تيري إجلتون، النقد والإيديولوجية،، ص32.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1992،ص215.

[4]- الخطيب محمد كامل، الرواية والواقع،دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص107.

**د- الأيديولوجيا والواقع :**

-الأيديولوجية لها فعالية في تحريك الجماهير، لأنها تبسط لهم الواقع وتفهمهم إياه. لكل هذا فالأيديولوجية تعني كل شيء وعكسه، وبوسع كلمة "أيديولوجية" أن تؤدي معاني مختلفة حسب منظور المتكلم ووجهة نظره وقناعته المعتقدية .فالماركسي حينما يتحدث عن "أيديولوجية الطبقة العاملة" يشير في غالب الأمر إلى نسق فكري يعبر عن رؤية هذه الطبقة الصاعدة التي ترفض الأمر الواقع (المنحل) وتعبر عن الحركة التاريخية الكامنة التي ستتحقق من خلالها، فهذا لوسيان غولدمان الذي يطمح إلى :" إقرار العلاقات المباشرة بين البنية الاجتماعية والاقتصادية من جهة، وبنية الأدب من جهة أخرى، مدخلا تحت مفهوم البنية كلاً من الشكل والنوع ومبادئ تصوير الواقع " [1]. ويذهب كارل ماركس إلى صنيع الإيديولوجيا التي تكرس واقع معين بغية الحفاظ على الطبقة العليا والمهيمنة اقتصاديا . وكأن ماركس يريد أن يضعنا أمام حقيقة جوهرية مفادها أن الإيديولوجيا تُفبرك وتُزيف حقيقة التاريخ وتُقدم لنا طبقا مغلوطا عن الواقع يبتعد كلية عن الحقيقة التي يمثلها العلم كونه المعرفة الصادقة والدقيقة التي تؤسس الكليات فيتبدل العلم من ثابت إلى متحول ويسقط من قيمته رأسا على عقب بهذا التفكير الجانح إلى السلبية حتى أن ألتوسير يحسب أن :" الإيديولوجيا علاقة خيالية بعلاقة حقيقية ويعطيها وجودا ماديا يتجسد في كونها توجد دائما في جهاز وفي ممارسة أو ممارسات هذا الجهاز وهو يعمل لذلك على إلحاقها بالواقع" [2].أما إن استخدمها مفكر يميني فلعله يعني بأنه فكر الغوغاء التي لا يمكنها إدراك التاريخ، وبالتالي يصدر أحكاما مباشرة هوجاء نابعة من استجابته المباشرة للواقع المادي وتعبيرا عن مصالحه المادية الضيقة. وحين نقف عند عبارة مثل "إن هذه النخبة الحاكمة تفتقد الرؤية الأيديولوجية" تعني أن هذه النخبة ليس عندها "أيديولوجية متكاملة"، أي أنها ليس عندها رؤية متكاملة

[1]- السبرغياكوف، المنحى السوسيولوجي في النقد الأدبي، تر: نوفل نيوف، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق،ع1، 1978، ص73.

[2]- حبيبة الصافي، سيميائيات أيديولوجية، التاليا للدراسات والتوزيع، دمشق، سوريا،ط1، 2011، ص45.

للواقع.فهي تحكم على كرسي من عاج، لا تعايش المجتمع الواقعي .وفي عبارة مثل "إن هذه مجرد رؤية أيديولوجية" تعني أنها رؤية مجتزئة للواقع تلوي عنقه حتى يمكن أن يتناسب الواقع مع الأيديولوجية لا العكس، مثلما حدث حينما صرحت رئيسة الوفد السوفياتي لمؤتمر العنصرية الصهيونية في بغداد عام 1977 - بأن الصهيونية قد قامت بطرد العمال والفلاحين العرب- .وهي بتصريحها هذا على مسامع الحضور السلطوي كانت تحاول أن ترد حركة التاريخ بأسرها لمقولة تعسفية تكرس فيها الطبقية. وحينما ذكرّتها بأن الصهيونية طردت العمال والفلاحين والرأسماليين والإقطاعيين العرب بل والبروليتاريا الرثة العربية، وأن الجميع طُرد لا لأنهم عمال وبروليتاريا رثة وإنما لأنهم عرب، وأن علينا أن نتعامل مع هذه الحقيقة التاريخية الصلبة حتى لو لم تعجبنا أو تتفق مع آراءنا، وينبغي النظر فيما يطرحه لوسيان غولدمان في الإيديولوجيا على أساس وعيها الجماعي يرتبط حتما بالفئات الإنسانية التي تسعى جاهدة في تحسين ظروف الواقع ليقابلها بالمفهوم:" الرؤية للعالم" كوعي جماعي يتعلق بمجموعة اجتماعية:" إن الرؤية للعالم هي بالتحديد مجموعة من الطموحات والإحساسات أو المشاعر والأفكار التي تجمع بين أعضاء جماعة ما، وغالبا ما تكون هذه الجماعة طبقة اجتماعية وتجعل هذه الجماعة تقف في تعارض مع الجماعات الأخرى " [1] .فتقف فئة اجتماعية متقاربة النظرة ، مشحونة بنفس الأفكار ، تتحد و تتفق فيما بينها حول رؤيتها للعالم تعمل لنفس الطموحات المستقبلية ،حمالة للإحساسات نفسها تتعارض ضمنيا و جوهريا مع مجموعات أخرى ، وهي في الأخير لها أيديولوجيا موحدة .ويقدمها -غرامشي - بقالب كونها :" تصور للعالم يتجلى ضمنيا في الفن والقانون والنشاط الاقتصادي،وفي جميع تظاهرات الحياة الفردية والجماعية." [2].لذا دعا لوسيان غولدمان لضرورة فهم العلاقة بين نقطتين دقيقتين وهو ما يُعرف بالأثر الأدبي وعلاقته بالواقع الاجتماعي والوضع الاقتصادي فهي ليست:" مجرد تساوقبين بنية

[1]- حميد الحمداني، انقد الروائي، مرجع سابق، ص19.

[2]- بيوتي جان مارك، فكر غرامشي السياسي، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط1، 1975، ص182.

الأثر الأدبي وبين شروط إنتاجه وإنما اندماج تدريجي بين سلسلة من الكليات والجمل "[1]. في المقابل يجب التفريق بين رؤية العالم والإيديولوجيا وتصفيف بقية الإيديولوجيات الأخرى ومحاولة المقارنة والتطلع إلى نقاط الائتلاف ونقاط الاختلاف فيما بينها .ويربكنا الفيسلوف – بيير زيما – بقوله :" أن الإيديولوجي يعلن حقائق مطلقة يميل إلى تقديمها بشكل ثنائيات ضدية، مثل الإيمان /الإلحاد، الاشتراكية / الرأسمالية، البطل / الخائن،الأسطورة / العلم " [2] .

هكذا تتمازج وتتنابذ وتتضاد وتتداخل أحيانا أخرى بين الواقع والحقيقي ليشكلا الطبيعة الملتبسة والغامضة للإيديولوجيا، لتلج إلى أعتاب المتواري وغير المدرك ضمن الواقع التاريخي الذي ورد مكتوبا ومسجلا و متميزا بتعدد مظاهره ومُتناقلا جيلا عن جيل، محافظين عن إضباراتهم القديمة والقيمية لهذه الثقافة المتأصلة بثوابت المرجعية لتقدم خطابا نصفه بالكلية والحقيقة ومضاهيته للواقع.

## II- الواقع بين المفهوم والتأسيس :

الواقعي مادة خصبة ودسمة إذا ما اعتبرناه معبرا عن الواقع حقيقة،أي ما لامس الإنسان في تعاملاته المتخلفة، تفاعلت الأحداث مع ذاته أو مع الأفراد الذين يحيطون به أو المواقف التي تصادفه يوميا، أو المفارقات التي تعتري طريق حياته وتعايش يومه،ويستشرف مستقبله من خلاله، لذا حاولنا الوقوف على هذا المفهوم والإفصاح عن جوهره ومضمونه بداية من تعريفه.

### 1- الواقع:

أ- **لغة :**لم يغفل ابن منظور مادة – وقع- من معجمه لسان العرب والتي قال فيها:" وقَع على الشيء ومنه يَقَعُ وَقْعاً ووُقُوعاً: سقَطَ، ووَقَعَ الشيءُ من يدي كذلك،

[1]- محمد نديم خشفة، المنهج البنيوي لدى غولدمان، مركز الإنماء الحضاري، سوريا،ط1، 1997، ص9.
[2]- بيير زيما، النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع النص الأدبي،تر: عايدة لطفي، دار الفكر، مصر،ط1، 1991، ص205.

وأَوْقَعَه غيرُه ووَقَعْتُ من كذا وعن كذا وَقْعاً، ووَقَعَ المطرُ بالأَرض، ولا يقال سَقَطَ؛ هذا قول أَهل اللغة، وقد حكاه سيبويه فقال: سَقَط المطرُ مكانَ كذا فمكانَ كذا.

ومَواقِعُ الغيثِ: مَساقِطُه "[1].

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مصطلح الواقع حيث جاء فيه رفه :

الواو والقاف والعين أصلٌ واحد يرجع إليه فروعُه، يدلُّ على سُقوط شيء. يقال: وقَعَ الشيءُ وُقوعاً فهو واقع.

والواقِعَة: القِيامة، لأنها تَقَع بالخَلْق فتَغْشاهم.

والوقْعة صَدْمَة الحرب.

والوَقائع: مَناقِع الماء المتفرِّقة، كأن الماء وَقَع فيها.

ومَواقِعُ الغيثِ: مَسَاقِطَهُ.

والنَّسر الواقع، من وقَع الطائر، يراد أنّه قد ضمَّ جناحيه فكأنَّهُ واقعٌ بالأرض.

ومَوْقَعَة الطّائِر: موضِعه الذي يقعُ عليه ".

يقال : وقع الشيء وقوى فهو واقع، وله العديد من المشتقات منها : الواقعة، القيامة لأنها تقع بالخلق فتغشاهم، والواقعة : صدمة الحرب (....) والوقائع مناقع الماء المتفرقة كأن الماء وقع فيها" [2].

وجاء كذلك في معجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون : وقع ( يقع ) وقعا ووقوعا سقط والدواب ربطت الإبل بركت ويقال : وقع الطير على أرض أو شجر

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 1997، مج6، ص 475، مادة(وقع).

[2]- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ج1،مجلد2، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط2، 2008م، 1429ه، ص642 .

والمطر بالأرض، حصل والحق : ثبت والقول عليه : وجب والكلام في نفسه أثر فيها، وقع في يده : سقط في يده وندم .

وباستقراء جملة هذه التعاريف وما أوردته بقية المعاجم تدور فحواها تقريبا حول السقوط، وهي لاتبتعد في حقيقة أمرها على كوننا نُسقط الأمر على ما نعايشه داخل وسط مجتمعاتي

**ب – اصطلاحا :**إن القراءة الاصطلاحية لكلمة الواقع تتطلب منا تحري الدقة والموضوعية نظرا لتشعبها وكثرة تداولها وغزارة تناولها بين النقاد فهي في نظر البعض صعبة المنال فنجدها عند رفيف رضا صيداوي: " الوجود الإنساني بأطره المكانية والثقافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية " [1].فهنا إشارة واضحة لجميع الأطر والمجالات وهي إفراز للوجود البشري من خلال الواقع وهذا ما عبر عنه الدكتور فيصل الأحمر بقوله:" الواقع سلطان كل وجدان،وبالحياة المحيطة بحكم كونها مسيرة لمشاكلها كلها، وباعثة لردود فعلنا" [2]ومن الملاحظ أن لفظة واقع تُجسد الحقيقة أو الطبيعة والحياة مشحونة بمعان متعددة، وتمس الكثير من المستويات الفسلفية أو الاستعمال العادي، ويُحيلنا الأدب وتاريخ الفكر على أن :"كل الفنون في الماضي كان هدفها بشكل ماهو هذا الواقع، حتى عندما نتحدث عن واقع أسمى أو واقع الجوهريات أو واقع الأحلام والرموز" [3]. فالواقع يعبر عن واقعنا الحقيقي الذي نعيشه داخل ذواتنا و مع مجتمعنا لذا وجب ينبغي أن : " يقدم تمثيلا دقيقا للعالم الواقعي ولهذا يجب أن يدرس الحياة والعادات من خلال الملاحظة الدقيقة والتحليل المرهف،وينبغي أن يؤدي هذه الوظيفة بطريقة موضوعية خالية من العواطف والميول الشخصية " [4]وبدقة علمية يطرح قضية العادات و التقاليد الحياتية و تتدخل الملاحظة و الممارسات الفعلية اليومية لتكون أقرب للموضوعية

[1]- رفيف رضا صيداوي، الرواية العربية بين الواقع والتخييل، دار الفارابي بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص72.

[2]- فيصل الأحمر، دراسات في الآداب الأجنبية، دار الألمعية للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص86.

[3]- صلاح فضل،منهج الواقعية في الإبداع الأدبي،دار عالم المعرفة للنشر،القاهرة، مصر،د.ط،1992، ص33.

[4]- شلتاغ عبود شراد، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، ط1،1998، ص205.

متجنبا الخيال و كل رغباته النفسية فهو يطمح لتحقيق واقع أجمل يعبر عن الأفكار الاجتماعية

نجد من بين الذين تطرقوا إلى مفهوم الواقعية رشيد أبو الشعير في كتابه " الواقعية وتياراتها في الآداب السردية والأوروبية " أن مصطلح الواقعية من المصطلحات المطاطة والفضفاضة التي تختلف مفاهيمها باختلاف ميادين النشاط الإنساني من جهة وباختلاف اتجاهات النقاد والأدباء ومنظري الأدب من جهة أخرى"[1]. وبهذا التعريف نجد أنفسنا مع مشتق لوقع وهي الواقعية التي صارت مذهبا أدبيا مستقلا بنفسه لأنها حصيلة انعكاس الواقع الموضوعي

فرشيد أبو الشعير يرى أن الواقعية من المفاهيم المنتشرة بين الأدباء وتختلف توجيهاتها باختلاف مذهب كل ناقد أو أديب وقد تطرق رشيد أبو الشعير كذلك إلى مفهوم الواقعية في مجالات مختلفة، سواء من الناحية السياسية أو الأدبية أو الفلسفية فتجده في المنحى السياسي يعرفه على أنها القبول بالأمر، والاعتراف بالأوضاع السائدة والتأقلم معها فكأنه يراها فرادفه للسلبية والاستسلام .

ومن ناحية الأدب فعرفها على أنها مشاهدة الواقع أو ملاحظته وتسجيل كل تفاصيله وتصويره كما هو أي أبعاد عناصره عن اللاواقعية أو الخيال، كذلك ذهب إلى القول أن الواقعية محصورة في دائرة الاهتمام بمشكلات المجتمع وحياة الشعب" [2].ومن جهة أخرى وفي تعريف مكمل للأول فـ:" الواقعية في الفلسفة مذهب يلتزم فيه التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة و الحياة كما هي، وكذلك عرض الآراء و الأحداث والظروف والملابسات دون النظر دون نظر مثالي، وهو مذهب أدبي يعتمد على الواقع ويعني بتصوير أحوال المجتمع" [3] .فالمثالية لا تحكي الواقع ، فلا نريد أن

[1]- رشيد بو الشعير، الواقعية وتيارها في الآداب السردية الأوروبية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص7.

[2]- المرجع نفسه، ص 7

[3]- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا،د.ط، د .ت، ص،1052.

نعيش على كرسي من عاج يطفو فوق التصورات الإنسانية فالأيديولوجيا منبعها المجتمع و الواقع.

**ج – النقد الواقعي عند العرب :**

من بين أهم الشخصيات التي تبنت النقد الواقعي محمد مندور وحسين مروة، انطلاقا من تقسيمهم للاشتراكية أول الأمر يقول حسين مروة في مقدمة كتابه دراسة نقدية في ضوء المنهج الواقعي " فإذا كان لابد لي في ختام هذا الحديث الشبيه بالمقدمة أن أقول كلمة عن هذا الكتاب، فليس عندي أكثر من القول أنه محاولات متواضعة لتطبيق المنهج الواقعي في الدراسة النقدية، وهو المنهج الذي أشعر بطمأنينة عقلية وجدانية لأنني أنتهجه.....وبي رجاء مخلص، ومتواضع أيضا أن أتناول هذه المحاولات شرف كونها بحثا عن الحقيقة، وشرف كونها لبنة صغيرة في بناء نهضة نقدية منهجية في بـــلادي ... "[1] فهو تأكيد صادق على أن العرب كان لهم اهتمام بالغ بالواقعية في النقد الأيديولوجي وبداية مع كتابات حسين مروة وغيره من الكتاب العرب .

وتحدث حسين مروة بتفاؤل عن انتقال المناهج النقدية المختلفة للعالم العربي، ولكن يؤكد على فكرة عدم اعتمادها وتفضيل النقد التأثري الذي يصور بالنسبة إليه تخلفا واضحا، يقول : ليس يعنيني الآن تبيان وجه الصواب في هذا الجدل بل يعنيني توكيد القول بأن حركة النقد الأدبي بلبنان مصابة بالتخلف على نحو فاجع، والحكم هنا ليس عاما شاملا بل له استثناءات مرموقة ...ولست أزعم تعدد المدارس النقدية عندنا هو المظهر البارز لهذا التخلف، فإن تعدد المدارس في هذه الحركة أو تلك قد يكون مظهر العافية والحيوية ... وإنما الذي أقوله هو فقدان المدارس الأدبية، وسيطرة النقد الذاتي الاعتباطي القائم على نوع العلاقة الشخصية بين الناقد وصاحب العمل الأدبي، لا على نوع العلاقة الفنية بين الناقد والعمل الأدبي ذاته "[2].

---

[1]- حسين مروة، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988، ص 9

[2]-المرجع نفسه ، ص 8 .

انتقاد وجيه حين يهتم الناقد بالذاتية ، فتتجسد الشخصية في العمل الأدبي ، ومن هنا قد يبتعد العمل عن الواقعية .

يقول محمد مندور " .....وإذا كانت مناهج البحث العلمية موضوع اهتمام الغربيين بوجه عام، فإننا نحن الشرقيين أشد منهم حاجة إليهم، لعدة أسباب منها ما يرجع إلى مزاجنا القومي، ومنها ما يرجع إلى نظم التعليم في بلادنا فالشرقيون عاطفيون كثيرا ما تنشر مشاعر الجذب والنفور على تفكيرهم خبايا قد يعمي معالم الحق وفي كثير، إن لم يكن في كافة البلاد العربية، لم تستقم بعد نظم التعليم بحيث تسفر عن عقل مكون يحتاط في التأكيد ويحرص على ملابسة الواقع، كم أن التحصيل لا يزال طاغيا فيها على الفهم، وفي هاتين الحقيقتين القاسيتين ما يظهر حاجتنا إلى دراسة المناهج لعلنا نخرج منها بقيادة فكرية ضرورية" [1]. فالدكتور المصري يطرح قضيتين هامتين جديرتين بالدراسة قضية التعليم بين الفهم التي تستفز العقول كما يحرص على ملابسة الواقع فهو يستمد قوته من الواقع، ومن جهة ثانية المناهج التي تتحكم في نظام التعليم والتي تبتعد في الوطن العربي عن دمج المشاعر و العواطف التي تكرسها نظم الدول الغربية المتقدمة . ويكتب الدكتور عزالدين إسماعيل عن الواقعية فيقول:" وقد كانت الواقعية تعبيرا عن ذلك الروح الجديد الذي سيطر على الحياة في ذلك الوقت، وهو الروح العلمي، فقد ترك الواقعيون خيالات الرومانتكيين و أحلامهم وراحوا يلبسون الحقيقة في الواقع الملموس،فليس للواقعيين إيمان بعالم علوي فوق المحسوس،فهم يؤمنون بالحقيقة الواقعية، وهذه الحقيقة يمكن الوصول إليها عن طريق التجربة " [2] فالواقعية تصوِّر جانبا دقيقا من الحياة البشرية .أما على المستوى النقد الجزائري فقد أومأ الدكتور سعد الله للواقعية وظهورها عند الكتاب الجزائريين فـ : " ظهور المذهب الواقعي الذي وجد فيه الكتاب على اختلاف ميولهم

[1]-محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص 392.

[2]- عزالدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ط9 ،2013، ص 30.

و ثقافاتهم مجالا للتعبير عن واقع البلاد بما فيه من متناقضات وعزلة وحرمان " [1] وعليه فإن :" الواقعية تتعامل بطريقة واعية مع الواقع لتترجمه بواسطة أدوات تعبيرية، وتشكله وفق متخيل متميز، فحرصت على الارتباط بالواقع وتسجيل خباياه " [2] فتستمد الواقعية جذورها من مجتمع بأدوات تعبيرية ، ثم تتدبلجه وفق تنظيم محكم و جديد لا يحيد عن الواقع بل يعكس تصوراته في طبق أدبي جديد.

و حين تحدث محمد مندور عن اللغة بوصفها تعبيرا عن الواقعية خاصة عند الأدباء عامة والروائيين خاصة فقال:" اللغة التي هي مستودع تراث الأمم لا نزال نحن بعيدين عن استخراج ما في خباياها من حقائق إنسانية عامة، حقائق خاصة للسعي العربي والعقلية العربية كما رست بها خلال القرون المليئة بالأحداث، حتى ليصبح القول بأننا لا نزال نعيش على ما خلفه علماء النحو والصرف والبلاغة الأقدمون، وعندما يدعي بعضنا التجديد لا يعدو، في الحقيقية التطريز على ثوب خلق، حتى أصبحنا أشبه بمن يرقص في السلاسل، وكم يذكرني سادتنا الباحثون في اللغة بفقير يصرف قرشا إلى مليمات ليقرقع بها ....."[3].فاللغة هي العلبة السوداء التي تختزن بداخلها عالم مهول بالمعلومات ، فيما نبأ ما قبلنا و خبر واقعنا و تمازجه الحداثي مع الغرب ، وتسرد لنا أحداث أجدادنا المتوارثة ،أخذنا أنساق ثقافية متنوعة : لغة ، عادات ، مناسبات ، طقوس مختلفة ..... الخ

**د- النقد الواقعي عند الغرب**

ومكمن ظهور النقد الواقعي عند الغرب سنقف عند أهمها و مع جوستاف بلانش " فالنقد الواقعي عنده لم يكن يعني بالنسبة له أكثر من المحسوسات، كوصف الملابس، وغيرها من الأدوات الأخرى الملموسة التي تحتل حيزا مكانيا "[4] فاقتصر أمر النقد الواقعي في الموجودات الملموسة وأهمل باقي المعنويات ،وربما قد وقع في مطب

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر،ط5، 2007، ص06.

[2]- الطيب بودربالة والسعيد جاب الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر،ع7،2005،ص42.

[3]- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة،المرجع السابق، ص 393.

[4]- واسيني الأعرج، النزوح الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، ص5 .

نقدي من حيث لا يدري ،ولذا يمكن القول بأن شامفلوري أول من وضع مبادئ الواقعية سنة 1852 وحدد اسمها ومذهبها، وتعود كتابة الأولى سنة 1843، حيث أنه:" يأخذ على أتباع الخيال، وأخطاء الذوق الذي يقودهم إليه حدسهم وميلهم إلى تحويل الرواية منبرا للخطابة " [1] فهو يعزل الخيال و الأسطورة المبثوثة داخل جنس الرواية ويبعد كونها عملا واقعيا فهي لا تعبر عن أيديولوجيا الواقع الاجتماعي وإنما تسبح فوق ضفاف فني بعيدا كليا عما يبتغيه ويعايشه المجتمع .ويبدو أن موسوعة المصطلح النقدي تصف :" الواقعيين ناهضوا التعقيد والوعي، وبذلك غدت البساطة والإخلاص في نظرهم من المعايير ذات القيمة في النتاج الأدبي، كما قال الناقد الفرنسي – شامفلوري – إن الإخلاص هو القيمة الوحيدة التي يريدها الفن، ثم أعرب عن رغبته في الشعر الشعبي، بما فيه من قواف غليظة ومشاعر طبيعية ؛ ويفسر – دروانتي – "المناهج الواقعية بشكل مشابه تماما تلزم الواقعية نفسها بتمثيل الوسط الاجتماعي والعالم المعاصر بشكل دقيق كامل مخلص ؛ لذلك يجب أن يكون هذا التمثيل يسيرا قدر الإمكان ليقدر كل امرئ على فهمه " [2] يستعرض –دارونتي- على انعكاس صورة الواقع فهو كالمرآة تقريبا بتشكيل دقيق تقريبا أو علي يمثل نسبة عالية منه فحتمية التقارب مهمة عنده حتى يؤدي الفكرة المطلوبة وعلى أحسن وجه .

**2-اتجاهات الواقعية :**

أ – **الواقعية الطبيعية** : وهي تقترب كثيرا بالأمور المادية وكل ماهو ملموس، يعد – إميل زولا-رائد الواقعية الطبيعية في الغرب، وإليه يعود الفضل في بلورة مفهومها وحقيقتها من خلال كتاباته التنظيرية العديدة التي نشرها على امتداد سنوات طويلة .

---

[1]-فيليب غان تيغيم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تر، فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت لبنان،ط3، 1983، ص 240 – 241 .

[2]- كيمن كرانت، موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة،المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان،مج3،ط1،1983،ص 55.

قد هاجم - زولا - الرومانسيين وانتقد إيغالهم في البلاغة واللفظية والخيال وتقديس الفرد وأسطورة " الخلق الأدبي " والمعروف عن مادية الواقع، ففي كتابه " رسالة إلى الشباب " يتحامل على فكتور هيغو وعلى الرومانسيين بصفة عامة ويرى أن الوريث الشرعي لتيار عقلاني علمي"[1]، و هو يضيق به ذرعا – زولا- مع الخيال الجامح والغذائية المفرطة لدى الرومانسيين .

وقد زاد إيميل زولا على المبادئ هاته مبدأ آخر هو أنه ينتهي الكاتب في قصصه إلى نتائج تؤيدها العلوم فيما توصل إليه فبعد أن يجمع الكاتب الحقائق كما هي أو كما لاحظها ملاحظة دقيقة ليضع بها لبنات بنائه الفني ويهيئ الأرض الطيبة التي تتحرك فيها شخصياته الأدبية توفي عام 1902[2] م .فعلى الكاتب أن يبدع ويصور داخل الواقع المألوف حتى لا يشعر القارئ بالغرابة ولا يخرج عن السياق العام للنص؛فيلقى قبولا وترحيبا واسعا من قبل المتلقين.

ولا بد من الإشارة إلى الرسام كوربي الذي تأثر باتجاه العصر في الفن والذي دعا إلى الواقعية في الرسم، وعلى الرسام تسجيل مشاعره وأن يغيب عن ذهنه أن المجتمع هو موضوع الفن .

**ب-الواقعية الاشتراكية :** وهذه تصورات الدراسات الاشتراكية والتطبيق الاشتراكي، ولما كانت الاشتراكية نظرة فلسفية واجتماعية تشمل كل فروع المعرفة والحياة فقد اهتمت بالأدب الواقعي وجهته جهة خاصة تناسبها، ووجدت فيه خير مصور للواقع وباعث للوعي وحافز إلى التغيير باتجاه التقدم،، ومن هنا نشأت الواقعية الاشتراكية في الأدب وأصبحت مدرسة عالمية لها منهجها العقائدي المتميز الذي تم من خلاله استخلاص مدرسة نقدية سميت "بالمدرسة الواقعية الاشتراكية، وقد تبلورت معالمها في الثلاثينات من القرن العشرين" [3] ظهرت هذه الواقعية كرد

---

[1]- الطيب بودربالة/ السعيد جابا الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005 .

[2]- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، د ط، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، أغسطس 2003، ص 212 .

[3]عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات ونصوص لأبرز العلام، د ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1999 ، ص 144

فعل على الأنواع السابقة من الواقعية، وقد ناهضتها حيث لم تعجب بما ساد هاته الواقعيات من تصوير علامات التدهور والفساد التي سادت المجتمعات في تلك الفترة، ولم تقبل الاتجاه القائم الذي "يكشف عن الشرور والآثام التي تكمن في النفس الإنسانية، والتي يزيد في تصويرها وتأكيدها ما يشعر به الكاتب من خصومة نحو مجتمعه الذي حال بينه وبين أسباب الحياة الخالصة من أدران الفساد"[1]. فصلابة القوم تعكر صفو البعض مما يضطرون الى اقتراف السلبيات و تقسو قلوبهم وضمائرهم ويتسلل الخبث في تصرفاتهم وأعمالهم ويتحولن الى أداة هدم ،وتكبر عنده نظرة شؤم تجاه مجتمعه و واقعه .

وضع " مكسيم جوربي هذا المصطلح لتمييزه عن الاتجاهات الأخرى، فالواقعية الاشتراكية حصيلة النظرة الماركسية إلى الفن والأدب، كما هي حصيلة التجربة الأدبية المعاصرة لكتاب الاتحاد السوفياتي، فيرى أنصارها أن الأدب مبني على الجانب المادي الاقتصادي في نشأته وميوله ونشاطه وأنه يؤثر في المجتمع لذا ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع وفق الماركسيات الجديدة وتقوية هذه المفاهيم .وأن يهتم الأديب في آثاره ومؤلفاته بالطبقات الدنيا لاسيما طبقة العمال والفلاحين وأن يصور الصراع الطبقي بينهم وبين الرأسماليين والبرجوازيين ويجعلهم مصدر الشرور في الحياة، ويتصور الاشتراكيون أن:" ماركسيتهم سوف تحكم العالم وتحل تناقضاته ويطالبون الأدباء أن يبثوا هذا التصور في أعمالهم الأدبية "[2]. وقد دافع عن مبدأ الواقعية الاشتراكية –مايا كوفسكي- (1893،1930) حيث دعا فيها : " الشاعر إلى التزام برسالة اجتماعية وأن يكون وعيه مرآة للمجتمع وما يشغله من أمور عامة وفي رأيه أن المجتمع لم يوجد من أجل الفنان، وإنما وجد الفنان من أجل

[1]- محمد زكي العشماوي، دراسات النقد الأدبي المعاصر، د ط، دار المعرفة الجامعية (الأزاريطة) مصر، 2005، ص179 .

[2]- نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط ،1984، ص 328 .

: نحس أحيانا بالهدف الأول لهذه الواقعية هو الانتقاد أي تسليط الأضواء على المجتمع " [1] فالإبداع الفني ذاتي واجتماعي، فلا يمكن رسم خطوط عازلة بين الفنان والفن أو بينه وبين فلك الواقع الذي يتغذى منه.

**ج – الواقعية الانتقادية** زوايا مظلمة داخل نسق التخلف والانحلال الخلقي والاجتماعي، ورصد كوامن الخلل والتناقض والتطرف السلوكي والفكري، وهذا ما قامت عليه معظم تلك المرحلة في فرنسا وألمانيا يمثله بامتياز الروائي الفرنسي المبدع " جوستاف فولبير " في رائعته الخالدة " مدام بوفاري " [2].

وتمثل هذه الواقعية أيضا إلى التشاؤم وتعد القصة أيضا مجال الواقعية الانتقادية والمسرحية كذلك، فجل إنتاج الواقعيين الانتقاديين قصص وروايات أمثال "فلوبير" الانجليزي و " دويت ويفسكي " الروسي و " أرنست هيمن جراي " الأمريكي فهؤلاء واقعيين انتقاديون يقفون جميعا موقفا انتقاديا إزاء المجتمع بحالته . ولعل أبرز سمة لهذه الواقعية كونها محصورة في الإبداع الفردي وفي مضمونها الرئيسي القائم على أساس أن الفرد يقف في مواجهة الدولة والمجتمع والطبيعة عموما،وبالتالي فإن : " المسؤولية عن مصير المجتمع تقع عل عاتق الفرد وحده في العمل الأدبي" [3]

وهذه وجهة نظر قد تكون جد صائبة في شقها العلمي لاعتبار الفرد هو من يصنع الواقع ، هو اللبنة المهمة و الأساسية و التأسيسية للمجتمع ، فسلوك الفرد المسالم و المحافظ على مبادئه و أخلاقه ويربي عليها أسرته فحتما سينشأ جيلا صالحا . يرقى بأمته ووطنه

[1]- المرجع السابق، ص229.

[2]-حسام الخطيب، الأب الأوربي، تطور ونشأة مذاهبه، مكتبة الأطلس، دمشق، د ط، 1972، ص 182 .

[3]- شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د.ط، 1985، ص14.

## **الفصل الثاني**:محمود أمين العالم في ميزان الواقع و الأيديولوجيا مع كتاباته

**I- الأيديولوجيا عند محمود أمين العالم**

**1- الأيديولوجيا في كتابه : الرواية العربية بين الواقع و الأيديولوجية**

**2- ملامح الأيديولوجيا في كتابه الوعي و الوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر**

**3- حصاد المعركة وما تحمله من أيديولوجيا بكتابه في الثقافة المصرية**

1.3- شخصيات المسرحية بين ثنائية الواقعي الأيديولوجي

2.3- الشخصيات الرئيسية

3.3- الشخصيات الثانوية الفاعلة

4.3- الشخصيات الهامشية

**II-النقد الواقعي في كتابه محمود أمين العالم**

**1- الواقع و اللاواقع في كتابه مفاهيم وقضايا اشكالية**

**2- الواقع و الثقافة في مصر**

**3-محمود أمين العالم و الواقع الاجتماعي و دعوته للتجديد**

**4- سؤال الوجودية و الواقع ؟ و حديثه عنها في كتابيه في الثقافة المصرية ومعارك فكرية**

**5-أيديولوجيات الشعر الحديث و تنوعاتها**

## I-الأيديولوجيا عند محمود أمين العالم

### 1- الأيديولوجيا في كتابه: الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية

إن الملمح الأكثر وضوحا في هذا العمل يقرر محمود أمين العالم أن :" الخطاب الروائي وسط بين العلم والأيديولوجيا لأنه يتضمن أساسا معرفيا وإن امتزج بتوجه أيديولوجي "[1] ولا يقتصر الخطاب الروائي في الموضوعات السياسية أو الاجتماعية أو مجالات أخرى بل تتعداه إلى أيديولوجيات جديدة فقد تتجلى في ظاهرة حب أو حكاية خرافية أو أسطورة تتجسد في متون الروايات أو موضوعات أخرى مؤثرة ومتأثرة بثقافات مغايرة،وقد أشار الأديب في مستهل حديثه عن مسرحية –هاملت- وما تعرضت إليه من إخراج سينمائي سوفياتي و إنكليزي يتناقض مع فكرها الاجتماعي، بل يختلف توظيفها الأيديولوجي الموضوعي، وتتدخل كثيرا من المعطيات لتفسر أيديولوجيا الراوي والأديب منها طريقة قوله داخل النص فقال:" إن الاعتقاد بأن الروائي عنده شيء يريد أن يقوله، وأنه يبحث عن الطريقة التي يقول بها، يمثل خطأ خطيرا، إن طريقة القول هي التي تشكل مشروع الكاتب"[2].فالقول من طبيعته متأثرا بالموقع الذي منه ينهض،فهو يدعو إلى ضرورة اكتشاف أفاق جديدة في الكتابة، تتفرع فيها الأيديولوجيات وتطرح العديد من القضايا والأفكار،ويسرد لنا مثلا في رواية – الغيرة- التي تفردت في رؤيتها للعالم وكانت :" تتضمن أيديولوجية محددة، هي أيديولوجية الطبقة التكنوقراطية"[3]. وهي طريقة استعمار جديدة، وبوعي منه أو بغير وعي فهو يدعو إلى التملص من ربقة النظرة الأحادية في الكتابة الروائية، والسعي إلى رؤية أشمل وأكثر حيوية للواقع الاجتماعي،وبهذا الطرح فـ :" يقدم عرضا مسرحيا ذا دلالة أيديولوجية مختلفة، وبالتالي ذا وظيفة أيديولوجية مختلفة" [4].فالنص الأدبي عنده ليس جمالي وفني فقط،وليس كينونة مطلقة خارج الحياة وإنما هو تشكيل إبداعي نابع من الحياة،ويحقق استمرارها وهو إضافة جديدة للواقع،ويصبح الكاتب قادرا على بناء

---

[1]- محمود أمين العالم و آخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1،1986 ،ص17.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المرجع نفسه، ص 20.

عالم تخيلي غني وواسع، وفرق بين الواقع المادي الاجتماعي والواقع الروائي، فالروائي هو الذي يحمل أيديولوجية تستدعي الواقع والفكر والفن .وتصبح الأبعاد النفسية والتخييلية هي من تحدد أيديولوجيات النص.فقد آن الأوان أن تخرج الكتابة الروائية العربية من شرنقتها وتنفتح عن العالم الجديد وتعايش القراء الجدد. وطالما وجود الذات مرهونة بوجود الآخر، والاعتراف المتبادل، ومن هنا يتم بناء فرد داخل الخطاب الأيديولوجي ليدرك ذاته والذات التي تعايشه داخل واقع موحد فيرتبط بغيره حيث هذه العلاقة هي المؤسس الحقيقي للأيديولوجيا، وهي تقوم أولا عن اللغة :" تمثل اللغة قمة الأيديولوجيا لكونها لا تمثل العلاقات الحقيقية بالأشياء، فكل عبارات الحب والحرب، القوة والضعف، وكل الصفات التي يصف بها الإنسان عالمه إنما لا تنتمي إلى الحقيقة ما تنتمي إلى فعالية الآلة العقلية التي تنتج المنظومات الصورية المتخيلة وتحتفظ بها لسد الفجوة الكبيرة بين الحاجة والطلب " [1].وخلافا لهذا الطرح فإن الإيديولوجيا تأخذ من الخيال فهي لا تعكس الحقيقة بل تعاكس الواقع .فحين يعيش الفرد في صحراء قاحلة يبيت تحت سقف خيمة فلا مجال له بأن يحلم بأشجار وورد ونسيم عليل وامرأة فاتنة جميلة، فلابد من خلق واقع داخلي هو واقع الحلم الذي يبتغيه ويتحول إلى حقيقة .

## 2- ملامح الأيديولوجيا في كتابه: الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر

يُراودنا سؤال جوهري في مضمونه، حول العنوان الذي اختاره محمود أمين العالم بكتابه هذا، فيخصص سؤالا فرعيا أو نقول مبحثا خاصا في دراسة الإيديولوجية العربية الحديثة، ثم يعقب العنوان بفرعية تحته – ملاحظات منهجية – هو يطرح ندوة فكرية قد عقدت بالكويت تطرح وتعالج أزمة التطور الحضاري في العالم العربي، ليقف عند سؤاله الذي طرحه :" السؤال هو: من هم العرب، ماهي خصوصيتهم، أصالتهم، حقيقتهم الذاتية كعرب،وما أسباب تخلفهم الحضاري، وما السبيل إلى تجاوز هذا التخلف " [2].ويطرح قضية أن العرب تائهة في البحث عن ذاتهم،وبأن رحلة الفكر العربي المعاصر كانت رحلة عن

[1]- عبد الله عسكر، الصدام الإيديولوجي وهوية الذات، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1994، ص76.
[2]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر، مكتبة الاسكندرية، مصر، د.ط،د .ت، ص71.

الإجابات الإيديولوجية المتجردة للإصلاح حول الهوية والذاتية القومية، يحاول من هذا المنطلق الوقوف عند إجابة علمية وعملية، تقترب من الواقع الملموس عيني ومحسوس معنى هذا :" زوال التجريدات الإصلاحية في الإيديولوجية العربية عامة " [1].وقد تطورت الخلافات الإيديولوجية من خلا المواقف ووجهات النظر المتزاحمة و المصلحية من الشرق والغرب خاصة، الإسلام والمسيحية وديانات أخرى على الساحة العالمية،وهذا حال الاختلافات الإيديولوجية من التجريد العام إلى الاجتهاد حول برنامج العمل ثم إلى النقد أو ما سماه – نقد السلاح- وهذا الاتجاه العيني في الفكر العربي يرجع للتغيير الهيكلي في أوضاع العالم العربي، وهذه التغييرات العربية هو محصلة لعوامل قومية وعالمية،وهو نفسه شأن الإيديولوجية العربية، مما أدى على العدول والتعديل في البرامج الدراسية، واحتكر المستشرقون الإيديولوجية لارتكازهم العام والديني بالأخص، فكانوا يدرسونها بمعزل عن الواقع،وحسب رأي محمود أمين العالم أنها لم تعش كثيرا وفسحت المجال لدراسات أخرى تهتم بالإيديولوجية العربية في إطار التكوينات الاجتماعية، وليس حكما متعسفا على حركة الاستشراق رغم جهودها الطيبة في مجال تحقيق النصوص العربية والتأريخ لها، في الضفة الموازية تقف سندا وتشد عضدها مع الاستعمار ومصالحه،وكانت تحليلاتهم سطحية وغير معمقة، تدور حول الحمى ولا تقع فيه، أو ذات نظرة متعالية وفوقية،ووقفوا من الإيديولوجية العربية موقفا زائفا ومغرضا في كثير من المواقف، رغم مظهرها الشكلي والموضوعي، فهي نفس أغراض المصالح الاستعمارية فهو يقرر من قوله :" نفس الأغراض والمصالح الاستعمارية بل والصهيونية."[2] وهو يدعو لوجوب التصدي والفضح المنهجي العلمي لمخططات هؤلاء الناس، ويطرح قضية المفهوم الحقيقي للإيديولوجيا بعيدا عن طرح ماركس،أي الوعي الزائف بالواقع،فمحمود أمين العالم يريد أن يُوسع من المفهوم ويعرض عدة نقاط علّها تُصَوِب المعنى الحقيقي للإيديولوجية:

وتتمحور حول الإجابة عن السؤال : هل هناك إيديولوجية عربية واحدة؟ ويمكن أن نقول هل هناك إيديولوجية نوعية أو خاصة؟ تعكس وتعبر عن المشخصات النوعية الخاصة

[1]- المرجع السابق ،ص 73.

[2]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصرص76.

للعرب، وهل لكل وطن عربي خصوصيته وإيديولوجيته التي تخصه ؟ فالأمة التي تحمل نفس المنهل العلمي والتاريخ السياسي، تتحدث لغة واحدة،من هذه المقومات تنشأ إيديولوجية قومية عامة،خاصة في مجال الثقافة وفي العديد من الآراء السياسية . وبعض القرارات الحاسمة .فالدين الإسلامي هو أكبر قاسم مشترك بين الدول العربية،ولكن هل أن الإسلام هو جوهر الإيديولوجية العربية ؟هناك بغير شك وجود كتابات تُثمِّن هذا التفكير ويظهر في تفسيراتها للإيديولوجية العربية تفسيرا إسلاميا،لكن رأي محمود أمين العالم بقوله:" الإيديولوجية العربية ليست الإسلام وحده" [1] ونعتبر أنفسنا قاصري النظر في تحديد واحد مشتركا للتطبيق الحي للإسلام عبر كل البقع الجغرافية العربية ويُقحمنا الأديب بسؤال :" أي إسلام نقصد "[2] وهو من يُجيب ويحلل ويفكك الأغاليط المتداولة حول النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأحكام الشرعية عبر كل الملل والنحل والمذاهب والمواقف، فهي تحصر الإسلام وتضييق الخناق في فهمه أنه مؤسسة حكم تستخدمها الحكومات السلطوية تستعملها لدعم مشروعها السياسي وبسط سلطتها وحماية سلطانها ومصالحها الشخصية، ومع هذا فإن للإسلام عبر الأوطان العربية له خصوصيات منطقية وجغرافية ففي شمال إفريقيا والجزائر يرتبط بالقومية ونضال الشمال الإفريقي، في حين أن نضال الشمال الإفريقي المشرقي يتخذ دلالة عربية أساسا،في حين أنه كان في المشرق ضد السلطة العثمانية بمعنى واضح هو ضد الحكم الإسلامي السائد، وشارك في الأمر فئة كبيرة من المسيحيين العرب، لكن في المغرب العربي قاموا ضد الاحتلال الفرنسي والبريطاني، إذن هناك داخل الوطن العربي إيديولوجيات متصارعة نظرا لخصوصيات كل وطن مع وجود نقاط مشتركة تجمعهم وأحسن دراسة تكون:" الدراسة الصحيحة للإيديولوجية العربية هي التي تلك تحسن إدراك العام والخاص وتحسن تحديد العلاقة بينهما والتي لا تلغي العام باسم الخاص، ولا تلغي الخاص باسم العام،هناك إيديولوجية عربية واحدة مشتركة على المستوى العربي القومي العام."[3].

[1]- المرجع السابق ، ص 79.
[2]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ، ص79.
[3]- المرجع نفسه، ص 82.

تفسر أغلب الدراسات الأوربية والأمريكية حين تحدثت عن الإيديولوجية العربية بعامل واحد وهو التأثير الأوربي، ويتبنى هذه الفكرة الكثير من النقاد العربي كعبد الله العروي من خلال إضباراته المتنوعة ويقسمها إلى ثلاث اتجاهات :

أ- **ديني** :ويقف عند محمد عبده كرمز لها الاتجاه، مع ظهور اتجاه

ب-**ليبرالي** :بريادة الشيخ لطفي السيد.

ت-**تقني:** ويتصدر هذه الوجهة كل من سلامة موسى، وعبد الله العروي . وتكمن الجذور الحقيقية لهذا الاتجاه الإيديولوجي للتكوينات الاجتماعية الأوربية :" أن فكرنا –كما يقول- يستند بادئ بدء إلى بنية اجتماعية تستثيره من بعيد "[1].فالعامل الأساسي إنما هو العامل الداخلي للتكوينات الاجتماعية فلا : " شك أن هناك تأثيرا للحضارة الغربية على الإيديولوجية العربية، ولكن ليس على النحو الميكانيكي، الأحادي الاتجاه " [2].

نجد بروز الفكر الإسلامي والفكر الليبرالي، ليخيم على بعض الأوطان العربية،ويتشظى كيان كل منهما إلى يميني ويساري، وحسب طرح محمود أمين العالم الذي يعيش بمصر يرى أن الأخوان المسلمين هو الجناح اليميني في الاتجاه الإسلامي الأصولي، بينما يمثل الاتجاه القومي البعثي والناصرية الجناح اليساري،أما التيار الليبرالي فتمثله :" جناحه اليميني تمثله البرجوازية الوطنية، وجناحه اليساري تمثله التيارات الاشتراكية والماركسية " [3]وحقيقة أن كل هذه التوجهات تعجز عن إدراك ما في الواقع العيني الحي للإيديولوجية العربية من تعقيد وخصوبة، وحين نسقط هذه الأفكار عن الساحة الجزائرية وفي فترة 1920-1940.سنقف حتما عند ابن باديس وتياره الإصلاحي فهو مع الاتجاه الديني لكنه مصبوغ أيضا بإيديولوجية سياسية ودلالة اجتماعية حركية قد لا نجدها في فكر الشيخ محمد عبده وغيره من المسلمين،يذكر محمود أمين العالم في مقارنتيه بين الإيديولوجيتين للمفكرين محمد عبده بمصر، وابن باديس في الجزائر بقوله : " إن النظر إلى ابن باديس من الناحية الإصلاحية الدينية فحسب يعني إدراك بُعد واحد من أبعاد حركته

[1]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ، ص 83.

[2]- المرجع نفسه، ص 85.

[3]- المرجع نفسه ،ص 90.

.فالإيديولوجية الدينية عند الشيخ محمد عبده كانت تجديدا للإسلام، في إطار موقف اجتماعي لمصر، على أن الحركة الدينية عند ابن باديس، كانت إلى جانب طابعها الديني، وطابعها الإصلاحي محاولة لتأكيد الذاتية الوطنية الجزائرية ومناهضة التوطين الفرنسي " [1].فالتنظيم السياسي هو أحد أبعاد الإيديولوجية بل هو إيديولوجية علمية .

تبقى النظرة الأمريكية والأوربية هي محل النقاش في الإيديولوجية العربية أنها تتعامل بمفاهيم نظرية نابعة من سياق اجتماعي وتاريخي محدد هو السياق الأوربي،وتسعى بكل ما عندها بفرضها بشكل جامد على السياق الاجتماعي والتاريخي، ويعرض علينا محمود أمين العالم مفهوم القومية الذي يعني في ثقافة الغرب يتضمن بُعدا عنصريا، على حين أن القومية في البلاد النامية، وفي البلاد العربية، تحوي بعدا مختلفا، لأنه يتعلق بالبعد التحرري من الاستعمار و الإمبرالية الصهيونية، ولعله يتضمن بعدا اجتماعيا أيضا هو العداء الرأسمالي أو على الأقل التناقض معها .مع أن هذه الاتجاهات لا تمثل المضمون الجوهري لحركة التحرر والوحدة القومية العربية.ويسوق مثالا آخر أكثر وضوحا، يتمثل في الصراع بين الدول العربية وإسرائيل فبعض الدارسين يصورونه صراع قومي،فيقول محمود أمين العالم بهذا الصدد:" أنه صراع بين قوميتين هما القومية العربية والقومية الإسرائيلية " [2]ويحوّلون النضال العربي التحرري عدوان بين قوميتين ساعين بهذه التعمية الإيديولوجية طمس الهوية الدينية وحسبوه صراع إمبريالي بحت.

ويطرح منعرجا جديدا ومتداولا في الأوساط السياسية وهو مصطلح الديمقراطية، ويُشير إلى أن ديمقراطية أوربا وأمريكيا هي جزء من التكوين والاقتصادي والاجتماعي والتاريخي العام لمجتمعاتنا فهي :" تعبير عن نظام السوق الرأسمالية الحرة " [3] وبهذا فهي لا تصلح أن تكون معيارا قياسيا لتقييم التجربة الديمقراطية في الدول النامية، فالديمقراطية الحقة هي التشكيل لعملية اقتصادية وسياسية وقد يختلف هذا التشكيل من دولة عربية إلى أخرى.فأشكال الديمقراطية وطريق ممارستها هي تعبير صادق عن حالة إيديولوجية حقيقية فهي: "ظواهر إيديولوجية تطبيقية ينبغي أن ندرسها ونقيمها في سياقها الاجتماعي والتاريخي الخاص"[4] فاختلاف التجارب وتمايزها من

[1]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ، ص 92.
[2]- المرجع نفسه ،ص 100.
[3]- المرجع نفسه ، ص 100.
[4]- المرجع نفسه، ص101 .

وطن لوطن لا يعني إقامة جسور حصينة بينها، ولا تعني تقسيم العالم إلى كتل شرقية وغربية جغرافيا أو فكريا وإلى عوالم حضارية عنصرية كل منهم يقصي الآخر ويستبعده، بل ويزيحه فالدكتور أنور عبد الملك يرفض الحضارة الأوربية بكل تصوراتها ويُدينها باسم خصوصية الحضارة الشرقية .لاعتبار أنها لا تتصف بالشمولية والكلية الموضوعية العلمية ويعمم الحكم على كل إنتاج أوربي، في حين أن بعض الإيديولوجيات هي انعكاس لتجارب طبقية، وتعبير عن مصالح طبقية خاصة أيضا.وليس حري بنا أن ننسف كل ما أنتجته الحضارة الأوربية والحضارة الأمريكية، ونبحث عن منح فكري جديد ومغاير وعلى سبيل المثال لا الحصر فلا يمكن الجزم بأن الماركسية رغم أنها ثمرة من ثمرات الخبرات الأوربية أنها مجرد تصور أوربي للعالم والتاريخ،فالتطبيق الماركسي الصناعي المتقدم يختلف من دولة إلى أخرى ومن هنا سيختلف تطبيقه بالدول النامية باختلاف التراث الثقافي والملابسات الموضوعية .فالحرص على الخصوصيات أو الأصالة في دراسة الظواهر الاجتماعية لا يعني العزلة عن الخبرات الحضارية المتقدمة والمتطورة، وإنما يعين القدرة على استيعاب الغير .فلا نرفض ما قدمه الغرب وأوربا جملة وتفصيلا بقدر ما نستفيد من منهجهم وإنما :" نقف منها موقف النقد الايجابي ؛ أي التحليل الموضوعي التاريخي في ضوء خبراتنا وممارستنا الحية " [1].

تقرر الكثير من الدراسات العربية المعاصرة أن الإيديولوجية العربية الحديثة، تكاد تنحصر في الوثائق السياسية، والخطابات السماعية المعلنة عبر وسائل الإعلام الفضائية، نعي جيدا أنها جزء لا يتجزأ من الإيديولوجية فهي - ديماجوجية - [2] .أي تعبر عن شيء لكنها غير كاملة وغير شاملة لتحكي كل تفاصيل القضية .وهي قاصرة على أن تقدم صورة واضحة ومكتفية بذاتها وتكون موضوعية تعبر بصدق عن الإيديولوجية الرسمية والمقصودة. وهي لا تقدم الصورة الواضحة للإيديولوجيات المتصارعة في المجتمع الواحد،صحيح أن الإيديولوجية الحقيقة هي مرآة عن الدولة كما يقول إنجلز. ولهذا: " فإن دراسة الدولة في سلوكها النظري والتطبيقي على السواء هو حجر الزاوية في دراسة الإيديولوجية السائدة. ولكن الإيديولوجية تتجسد كذلك في أشكال ومضامين

[1]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ، ص 104.
[2]- المرجع نفسه، ص 103.

متنوعة ومتناقضة في مستويات أجهزة الدولة المختلفة " [1].فضلا عن وجود تناقض واضح بين الإيديولوجية المعلنة والإيديولوجية التطبيقية، فدراسة الإيديولوجية لا تقتصر على ما دون حبرا على الأوراق ودُستر قانونا أو سُطر في المواثيق، فهو يتعدى الوثائق والتصريحات الرسمية لكنه يكتمل المشهد بمتابعتها في ميدان الواقع، لابد من التوافق بين النظري والتطبيقي .

**3- حصاد المعركة وما تحمله من أيديولوجيا بكتابه في الثقافة المصرية**– التي أزيحت إلى هامش المتن المسرحي، وبطريقة مخالفة في لغتها عن القرآن الكريم، بأيدولوجيا مغايرة كتب محمود أمين العالم مقالا يحمل عنوان :" مأساة الزمن عند توفيق الحكيم"[2] وهو يدور حول مسرحيته التي تنصهر بصراعات بين شخصيات أصحاب الكهف الظالم. قصة -أهل الكهف غير متحيزة لفكرة دينية معينة،كي تتأمل برودة الموت المفاجئ من غير ممهدات، موت يختلف عنفتك ملك الموت، تجسد في شكل نوم عميق مخالف لنواميس الحياة فهو معجزة ربانية، وهي قصة تجتاف أوصالها فيما توقّعه سكان القرية، في صراع متأجج يدور بين الإنسان والزمن، وهذا ما يؤكد فعل الانبعاث الأيديولوجي الذي استترت بموجبه أيديولوجيا الملك المتجبر بدينه ويفرض سطوته على الواقع، فالصراع يدور حول الواقع و الأيديولوجيا السياسية المتغطرسة، يدور خطاب توفيق الحكيم على حلبة وخشبة مسرح أقرته الصحف السماوية، صراع متوارث يُكرس الواقع المتوارث أو يخرج من جلبابه ويمتطي صهوة الأيديولوجيا الجديدة التي تطرح دينا صحيحا يدعو لعقيدة رب السماء، وإذا سلَّمنا بهذا النزاع المتوارث أو الرأي المحتدم أو الاستنتاج الأدبي ولغة السرد داخل مسرحية توفيق الحكيم، لنقول : تُرى ما طبيعة هذا الصراع بين الطرفين، وما هي النتائج التي تتمخض عنه في نهاية المطاف؟ ثم ما هي طبيعة سياسة التطويع التي يمتلكها الزمن كي ينتصر على الإنسان؟ وهل يمكن أن تكون النتيجة لصالح الإنسان ضد الزمن في واقع متغير وكيف سيتم ذلك؟ فالإنسان جسم مادي والزمن أمر معنوي بحث نحسه ولا ندركه فما ماهية هذا النزاع؟وهنا نناقش نفس الشيء الواقع أمر مادي والأيديولوجيا شيء معنوي،فهل طقوس الواقع هي التي تفرض وجودها أم أيديولوجيا الدين والعرف هي المنتصرة في آخر جولتها

[1]- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر ، ص 105.
[2]-محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص62.

؟.لذا قال محمود أمين العالم:" إنما تقوم على الصراع بين الإنسان والزمن . وبهذا الوعي المريد بواقعه القومي و أساسه الفاجع كتب الحكيم، أهل الكهف " مأساة مصرية" "[1]

هذه الخلخلة المحيرة والمنزاحة في أحداث المسرحية والتي تدور جميعها في مدار واحد، وهو كيفية تعامل الإنسان مع ساعات عمره المحدّدة بعدد الأيام والشهور والسنوات التي يعيشها في هذه الدنيا، وعلى الرغم من رغبة البشر في البقاء إلى ما لا نهاية على قيد الحياة، فالواقع يشده نحو سياسة البقاء ورفض الفناء مع قناعته أنه لابد من نهاية الحياة بإيمان المؤمن وعُرف الكافر، ودخل في صراع مرير مع الزمن لكي يكسب هذه المعركة، و أسقط الأمر على الواقع المصري آنذاك فقال:" لا فائدة من نزال الزمن، لقد أرادت مصر من قبل محاربة الزمن بالشباب، لكن الزمن قتل مصر وهي شابة وما تزال ولن تزال، ولن يزال الزمن ينزل به الموت كما شاء، وكلما كتب عليها أن تموت" [2]إلا أن النتيجة بقيت محسومة لصالح الزمن. فمنذ أكثر من ثمانية عقود، كتب الأديب الشاب حينها - توفيق الحكيم – بمخيلته الفاتنة أول أعماله المسرحية «أهل الكهف» التي اقتبس فكرتها من القصة القرآنية المعروفة التي تحكي طرفًا من حكاية «أصحاب الكهف» لتكون هذه المسرحية بمثابة شهادة ميلاد الأديب الكبير، حاول الأديب منه الحكي بلغة واضحة وبسيطة بُغية إيصال الأفكار الكامنة والعالقة بذهنيات الملوك والسلاطين ولا تُعد إزاحة جمالية وإبعاد عن كرسي الملك فقط وإنما كما عدها طه حسين فتحًا جديدًا وإضافة للخزانة الأدبية العربية، وهي أول مسرحية لغوية و تمثيلية ترفع الأدب العربي لمصاف الآداب العالمية، كما كتب عن المسرحية وتناولها بالنقد والتحليل عدد من كبار الأدباء والنقاد في ذلك الوقت مثل زكي مبارك،وعباس العقاد والمازني و يهمنا كلام محمود أمين العالم حين فكك أحداثها وأسقطها على الواقع المصري في زمنهم الحاضر، فصراع الواقعي والأيديولوجي في تجدد دائم فيقول:" عندما كتب- توفيق الحكيم – لم يكن يقصد من وراءها صياغة قصة قديمة بكلمات جديدة، بل كان يرمي في المحل الأول إلى كتابة مأساة مصرية على ـأساس مصري"[3]. ينقل توفيق الحكيم قصة أهل الكهف إلى منحى آخر مختلف تمامًا، مشهدا نوعيّا،حيث لم يعد الأمر ولا القضية ذلك الصراع الذي كان بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل،بين الشباب الذين يريدون أن يحافظوا على إيمانهم والملك الظالم.فقد مضى زمن الظلم،

[1]- المرجع السابق، ص. ن.
[2]- المرجع نفسه ، ص63.
[3]- المرجع نفسه، ص62.

وآمن الناس بالله، وانتظروا ظهور هؤلاء الأشخاص الذين تحولوا لقديسين، ولكن كيف يعيش هؤلاء بعد مرور الزمان وتغيّر الأحوال؟!

إنها حادثة تاريخية تتناغم مع عدة تغيرات زمنية، وهي تمتحن استحقاقاتها الحاسمة،فيتحدث " مشلينيا"في محاولته للتغلب على قسوة الزمن، وذلك التحوّل الرهيب الذي يجد نفسه معاصرًا له، يمثل "مشيلينا" في المسرحية صوت الشاب الطموح الذي لا يزال يحلم بالحب والقدرة على التغيير، ويسعى مع حبيبته (بريسكا) إلى تجاوز هذا الفارق الزمني الكبير بينهما،ويصفه محمود أمين العالم بقوله :" أما مشلينيا ... فإنه يتشبب ببهو الأعمدة ينتظر عشيقته بريسكا ماتت منذ ثلاثمائة عام ."[1]وعلى الرغم من أن – توفيق الحكيم -يدير حوارًا ثريًا بينهما حول هذا الموضوع، ويضيف تفاصيل مختلفة في مسرحيته فإنه لم يتجاوز أيضًا في النهاية سلطة الزمن وسيطرته على جميع شخصيات الكهف وأبطاله، مهما اختلفت توجهاتهم وأفكارهم المتباينة . يبدو الصراع بين الإنسان والزمن حاضرًا بقوة عند- توفيق الحكيم- ليس في هذه المسرحية فقط، بل في عدد من أعماله ومسرحياته الأخرى، وإذا كانت «أهل الكهف» هي البداية المستوحاة من القص القرآني، فقد عاد الحكيم إلى الزمن مرة أخرى، بفكرة جديدة سابقه لزمانها في مسرحيته «لو عرف الشباب» التي تحكي قصة رجلٍ عجوز اقترب من الثمانين، ويعاني من أمراض الشيخوخة، وإذا بالطبيب المعالج له يمنحه فرصة استثنائية، من خلال ابتكارٍ علمي حديث، هو حقنة تعيد للشيخ شبابه، وبالفعل يأخذ العجوز هذه الحقنة، وتعيده شابًا من جديد، ولكن الأمر لا يخلو بعد ذلك من المنغصات والمفاجآت!

يبدأ الجميع بلغة صادمة وفاضحة فهذا: "يمليخا "الراعي و"مرنوش" و"ميشيليا". لكل واحد منهم عالمه الخاص الذي تركه يوم فراره إلى الكهف، يموت – مرنوش- كافرا وعلى عقيدة منحرفة عن البقية، أما مشلينيا فيموت مؤمنا بعقيدتهم وقتها فيقول محمود امين العالم معبرا عن الأحداث هذه بقوله:" ويموت مرنوش في الكهف كافرا بالبعث بعد أن شاهد إفلاسه، أما مشلينيا فيموت مؤمنا...لأن له قلبا يحب،وينغلق عليهم الكهف جميعا" [2] فلكل واحد طقوسه الحياتية، وكيف ينظر إل واقعه ويتفاعل معه،فحينما يعودون بعد ثلاثة عقود يبدأ كل واحدٍ منهم في التنقيب عن أفراد عالمه، أملاً في العودة إلى حياته التي تركها مرغمًا. إلى أقرانهم أو من يشاركوهم الآلام والأحزان، يعيشون

[1]-المرجع السابق، ص62.

[2]- المرجع محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق ، ص63.

معهم لحظات الأفراح أو الأتراح،وقد أجاد – توفيق الحكيم -تصوير حيرة الثلاثة وقلقهم في البداية من ذلك النوم الطويل الذي كانوا فيه،وعن أول يقظتهم راحوا يبحثون عن الواقع والوسط وما أبعدهم سوى أيديولوجيا الدين الذي يرفض الخضوع لعبادة العباد ويخرجهم إل عبادة ربّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن هنا نقطة بدء المأساة والصراع فيقول :" فعندما نتساءل، كيف نشأت المأساة وكيف انتهت، نجد أنها بدأت بأن عادت الحياة إلى أبطالها بمعجزة ... وانتهت بأن فقدوا الحياة لعجزهم عن التكيف مع الحياة "[1] فقصة أهل الكهف هي حكاية أهل مصر قديما،فهي تقص واقع مصر المهزومة الخانعة المكبوتة منحنية الظهر،فهي ليست مصر الشعب ولا الكفاح فشخصيات الكهف عاشوا قبل مآلهم للمغارة الدين المسيحي العتيق، حاربوا من أجل إثبات معتقد ديني بفكر أيديولوجي عقدي داخل واقع اجتماعي يعاني الذل يعيش مطأطأ الرأس فكانت:" غنما ترعى الكلأ "[2]،يرسم الأحداث بريشة رسام زينها بألوان بهية تسر الناظرين بنضرتها،ثم كيف تلقاهم الناس بادئ الأمر، وكيف تحول وجودهم من أشباحٍ يخشى الناس الاقتراب منهم لما في مظهرهم من آثار الزمن، زمن وُصف بالعدم، هم أتوا لحياة جديدة وواقع غير واقعهم، يحملون أيديولجيات قديمة زمن قال عنه محمود أمين العالم :" ولهذا كان الزمن رمزا للعدم، وكانت الحياة هي الخلو من الإحساس بالزمن "[3] فهم موجودون خارج زمنهم الذي خلقوا من أجله، وتحولت شخصيتهمإلى قديسين يسعون إلى التبرك بهم والاستماع إليهم. ولكن كل ذلك لم يدم طويلًا، فقد حملوا لواء النسق التاريخي بحماسة، أشد من حماسة حماة لمعتقداتهم التي فرّوا لأجلها. ولكي تكون نتيجة الصراع مع الزمن لصالح البشر، عليه أن يوظف سنوات عمره في الأعمال التي تبني الحياة ولا تدمرها، فالإنسان كلما احترم الزمن، والتزم بالقيم والأخلاق العامة لمجتمعه، وسعى لبناء حياته وحياة الآخرين، فإنه سوف ينجح أيما نجاح ويظفر برضاء واقعه ووسطه، وسيغدو عمرهُ واحة جميلة مزروعة بأعمال الخير، زاهية ومثمرة، لذلك يبدو أن الترابط بين العمل الصالح وطول العمر واضحا لمن يبحث عن الأسباب، فحين يقوم الإنسان بعمل جيد يخدم فيه نفسه والآخرين معا، فإنه سيشعر بحالة من السعادة والابتهاج، وسيُخلّد عمله ويتداول بين الأجيال المتوالية، كونه قدم شيئا يساعد الناس في حياتهم أو قضاء حوائجهم الماسّة.

---

[1]- المرجع السابق، ص64.

[2]- المرجع نفسه ، ص 64.

[3]- المرجع نفسه، ص65.

هكذا يبدو لنا أصحاب -قصة الكهف – وما خلفته من ثقافة تاريخية أعمق وأبعد غورا من حروق الأوشام الجمالية التي تُزين عرائس الزمن المعاصر.

### 1.3- شخصيات المسرحية بين ثنائية: الواقعي / الأيديولوجي

تحفل مسرحية – أهل الكهف- بتنوع الشخصيات تبعا للجانب النفسي والاجتماعي وحتى التموقع السياسي، فهي مشحونة بواقع اجتماعي يعيش مرارة القسوة من قبضة السلطة، وترفض أي دعوة أيديولوجية تمتطي صهوة الانقلاب عن كرسي العرش والملك الحاكم، فداخل النص المسرحي يسرد محمود أمين العالم الشخصيات المهمة في متوالية كلامية فيقول:" ثلاثة رابعهم كلبهم؛ مرنوش ومشلينا، وزيران مسيحيان لدقيانوس عدو المسيحية، يهربان إلى كهف بصحبة الراعي يمليخا وكلبه قمطير، وذلك عندما انكشف لدقيانوس أمر دينهما الجديد، يهربان خوفا من وحوش دقيناوس وعسفه ومذابحه الدامية التي لا تنتهي" [1]،وهكذا يُصرح الأديب عن الشخصيات وعن البقية التي تعيش على بلاط الملك المتسلط. ويمكننا الإشارة إلى تمفصلات المسرحية كما يلي :

- الجانب الواقعي والأيديولوجيفي المسرحية :ووفق تراجيديا المسرحية التي تمحورت عناصرها في الآتي:-

-بعث أهل الكهف وموتهم أو نقول نومهم .

- ارتباط "مرنوش" بابنه وزوجته .

- ارتباط "مشلينا" بحبيبته الأميرة بريسكا .

- ارتباط" يمليخا" بغنمه وكلبه.

- التحاق" بريسكا" ببنت الملك المسيحي ب"مشلينا" لتموت إلى جانبه في الكهف.

- إقامة شعائر دينية لتوديع أهل الكهف .

[1]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق ، ص62.

يمكن أن ننفذ بتصنيفات للشخصية، ونقوم بترتيبها وفق معايير الأقوى والأكثر تأثيرا في تحريك معالم خشبة المسرح، ونبين كيف تأثروا هؤلاء بواقعهم الاجتماعي والفكري .

### 2.3- الشخصيات الرئيسية

**شخصية مرنوش**: أكبر شخصية أيديولوجية لأنه يحمل صفة التمرد عن عصا السلطان، يُخفي دينه الذي يمقته الملك، فالملك كغيره من أصحاب الكراسي يحارب لأجل البقاء، هو كرسي البقاء والثراء. مرنوش تحت دفتره العائلي بلغة معاصرة زوجة وولد. وقد بلغه أمر موتهما :"ولكن مرنوش سرعان ما يلحق به، لأنه يكشف أن زوجته وولده قد ماتا " [1]من الممكن أن نقول أنه ضمن مجموعة الشخصيات الرئيسية لان الانجاز هنا يقف على فتية، يحملون دينا يبتعد عن الواقع الذي يفرضه الملك عن مجتمعه،فهم تفلتوا من قبضة الملك وهي طريقة جديدة استعملت بالروايات التركية مفادها، الشخصيات الجماعية في العمل الأدبي، تكون مجموعة هي من تسير أحداث الرواية أو القصة.

**شخصية مشلينيا** : فكرة ضد السلطة متوارثة عبر الحقب الزمنية المتوالية، وهنا يكثر المناوئين عن الملك عبر الأزمان الغابرة فحين يتحد مشيلينيا مع الوزير الأسبق مرتوش اللذان يريدان ويخططان لجلب بساط السلطة من تحت رجلي الملك .فمشلينيا إذن هو إحدى العصي التي يتكأ عليها الملك وكله أمل فيهما.فمن الجانب الاجتماعي والواقعي هاتين الشخصيتين بمرتبة وزراء .حاشية للملك يعرفان دبة النملة بالقصر، لهمجل الأخبار القاصية والدانية، وهنا تسهل عملية الانقلاب عن الحكم وتغيير الحكم السياسي وهي أيديولوجيا سياسية مهمة .هم ساسة الدولة فيوقتهم.يخططون ويدبرون ويعطون أوامر التنفيذ. وبلغة الحصر يمثلون السلطة التشريعية، يشرّعون أيديولوجيات مهمة من الممكن يقبلها الواقع ومن الممكن أن يمجها ويرفضها .أما من الجانب النفسي ف" مشلينيا " قد تميل للتعقيد و الانضواء لكن براعة قلم توفيق الحكيم صبغته بنكهة رفعت من قيمته وجعلته محور بناء بالمسرحية، وعنصرا فعّالات بها.

[1]-المرجع السابق،ص62.

**يمليخا** : علاوة على إيمانه العميق بدينهم آنذاك فهو يتخطى الحدود الذوقية ويحمل أيديولوجيا دينية، فهو يقتفي مهمة الأنبياء والرسل وما فيها من عنت وقسوة وهجران للأقران بل وحتى الأقربين من الأرحام وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم مع سيدنا نوح عليه السلام،وسيدنا لوط مع زوجته التي كانت تبلغ معلومات لقومها ضد زوجها الرسول، يخلو يمليخا مع ذاته ويخيط ليله بظلمة ووحشة كله فزع، فهو يكبُر في فضاء مفتوح، والخلوة والهروب نحو الأفضل لتوسيع الفكر، عمد إليه سيدنا موسى عليه السلام الواردة قصته بسورة الكهف عقب أصحاب الكهف مع سيدنا الخضر، راح يتعلم معرجل عايش واقعا متفتحا ذو خبرة، وواسع التجارب مع المجتمع والحياة، ولعل الحياة كلها تعب لكنه يتعلم منه مهما كان العمل، ففي الخلوة والابتعاد عن الناس قد يتدبر الإنسان في ملكوت الله، ونحن أمة مسلمة فنبينا عليه الصلاة والسلام عمل راعيا عند مرضعته حليمة السعدية، وعايش الحياة التأملية فيطفو رزقها، ويزيد مالها ببركة النبوءة ورعاية الله، وهو مسلمة عقدية، وهذ يمليخا عليم بجغرافية المكان، اقترف سلوكيات لا تُرضي دين الملك ودين الواقع وقتها، فهو الرأس المخطط والمدبر فهو سفير قصة الفتية، يقدم أفكاره وتوجهاته الدينية بطريقة مقنعة ويتحصل عل مناصرين، هيأ لهم مأوى الفرار، بل دون اسمه من ذهب فله شرف التسمية والشخصية المهمة بمسرحية الحكيم في الآن نفسه .خلدها التاريخ إلى قيام الساعة.

**بريسكا**: وهي بريسكا الشبيهة :" إلا أن معجزة جديدة تتحقق، أن يحب بريسكا الشبيهة، وبهذا يرتبط بالحياة الجديدة خلال قلبه، وتحبه كذلك بريسكا الشبيهة، وتأتي إليه في الكهف بعد أن تكون قد تيقنت من موته " [1]من هنا يرتبط سؤال الذاكرة بالنص المسرحي، يجمع أحداثا سابقة بمجريات لاحقة بينها برزخ زمني طويل المدى، وتتحرك أيديولوجيا الحب للفكر وللتفكير القديم، مع التغير الواسع في الواقع والمجتمع، ليشكل إطارا كبيرا للتفكير في الجذور، وهو في العمق سؤ المحير في صوره المتعددة، ومراحله التاريخية في رؤية الكاتب وعلى الموضع الذي يقف فيه إزاء زمن تاريخي لاحق، فحين يريد المسرحي أن يفعل شيئا لكينونته الفردية والجمعية، فإن عليه أن يربط الأحداث بروابط أسرية فهذه بريسكا الجدة بعد أن دخلت العدم وصارت من اللامعقول أن تحضر، وفي الوقت نفسه فهي عند عشيقها من المعقول وجودها مع أنها هي حفيدة الأميرة بريسكا الجدة ابنة الملك دقيانوس الظالم تشبهها شبها كبيرا، من الناحية البيولوجية ومن حيث الجمال، ومن

[1]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص63.

حيث الأيديولوجيا في الفهم وتقدير الواقع والحياة، وبدوران الأرض وتسارع عقارب الساعة تتحول الطبقة الظالمة إلى إنجابملك عادل طرطروس لينجب بنتا، و تتفلت من ربقة السلطة و في عقدها الثاني، تنظر فيرجل فيشغفها حبا، وتتهادى معه إلى كهفه وتدخل التاريخ معه .

### 3.3- الشخصيات الثانوية الفاعلة

**غاليس** : من هنا تمخضت عن سماحة طرطروس الكثير من المحفزات التي لم تجسمها بحار الدم وآلاف القبور المجهولة، وهذه الحقيقة شكلت رؤية جيل عادل غلبت عليه الديانة المسيحية المتجذرة على المملكة، ليجتمع الواقع مع الأيديولوجيا، أي مجتمع مع دين،والإحساس بالوجود الإنساني إضافة إلى الإحساس العميق بالمسؤولية إبان الجيل القادم،فهاهو يجلب لابنته راهبا متعبدا، له دراية واسعة بعلم التاريخ وفقيها بأصول دينهم، يريدها أن تكبر على بساط العلم والمعرفة، يريدها عالم ومثقفة بارعة، ترسل فكرها عبر البسيطة، مؤثرة في الواقع غير متأثرة، لا يغرها مال ولا جاه أبوها، فهو على يقين أن العلم أزكي وأعلى شأنا من الذهب المشتق اسمه من الذهاب والفناء.فهنا يفضل أيديولوجيا الدين، عن واقع الحياة وطلب الرزق والمال،فهو يبني أمره ضد ما يطلبه المستمعون، فهذا المعلم يدخل دخولا فرعيا وثانويا بمسرحية الحكيم ويسجل حضوره عبر أسطر قصة مسرحية أصحاب الكهف بتعبير توفيق الحكيم، وبتحليل محمود أمين العالم:" وتأخذ المسرحية في الحركة خارج الكهف."[1]

**الصياد**: وهاجس الجوسسة عيون لا تصبر عن تناقل وتداول الأخبار، أناس لا يستقر الخبر في صدورهم، يتركهم كالمرجل وكل ما يرونه في الواقع يتحولون معه إلى إذاعة تجوب الأمكنة، فيجد نفسه محاصرا بوخز المواجهة الضاربة مع الوعي النقي الذي لا يمكن أن يبوح بكل الأسرار، كمعنى مطلق في الزمان والمكان صحيح أن كل فرد مشحون بقضايا غيره، الصياد إعلامي بامتياز يحز في نفسه منظر أحد الفتية، نفسه التواقة للمال وللكنوز يظن برجل الكهف أنه متحصل على مغارة مليئة بملك سليمان، فيفزع ويقظ مضجعه، ويسارع في نشر الخبر ويذيع صيت خبره إلى أهل الكهف لجميع الناس بسرعة الضوء، فالصياد بمثابة المُخبر الفطن بلغة عصرنا قام بواجبه على

[1]- المرجع السابق، ص62.

أخلص وجه.وخلد اسمه على مسرحية توفيق الحكيم، فهو واقع نعايشه في حاضرنا اليوم بكل ملابساته.

**الملك دقيانوس**: رغم أنه ملك ويمثل السلطة فهنا هو شخصية في حالة فعل، تصب في النهاية عند خاتمة مصير العودة للفتية،وتنقل مباشرة من الحلم إلى علم جديد يقظة، يقظة مفزعة، ديقيانوس يعتلي كرسي زائف زائل قوامه رفع الحاجز عنه، والزمن كفيل بكسر عصاه المتكأ عليها، أجبرهم بظلمه وجبروته للفرار بدينهم، فرار من واقع، يريدون تثبيت وجودهم العقدي، والرحيل من مقراتهم ومسكنهم ذاق بهم المكان ذرعا، أفزعهم ظلم ديقيانوس .فأناس يدخلون بخيرهم وجلبهم المنفعة للناس وأناس أشباه فرعون وقارونو أبو لهب خلدهم التاريخ من الظالمين و كلهم قد كرسوا المنفى للمنفي، إذ تبدو العودة مساحة مغلقة ومستقلة بمزيد من الانغلاق بمفتاح ليس في قبضة العائد لتربة الوطن. ديقيانوس بظلمه وخروجه من ربقة الدين يضع اسمه بتاريخ المسرحية كنقطة بدئها وانطلاقها.

**الملك طرطروس**: تلك سنن الحياة، فالماضي والحاضر ليسا مرادفين لفتية آمنوا بربهم وهاهي السلطة القديمة الجديدة تتغير معالمها فينقشع الظلام ويسود الأمن والأمان والإيمان، ونقول بتغير الأيديولوجيا يتغير المجتمع، وإنما هما مظلتان للواقع والحلم بما يصاحب المسرحي في نصهمن اضطراب في شعوره ولا شعوره، وانتكاس فيصف التحولات الجذرية فينصدم أهل الكهف زمن خروجهم، تركوا ظلمة فصحوا على نور وعدل .فالملك هنا أرجع فيهم الأمل وغرس في المسرحية دوام الحال من المحال، ومقولة لعل الله ينجب من أصلابهم ذرية يعبدون الله وهذا هو الواقع الحاضر بين أيدينا.

### 4.3- الشخصيات الهامشية

**الراهب**: هو رجل الدين عند المسيح، المرجع العقائدي والأيديولوجي عندهم، كلماته أوامر،إن البعد الاصطلاحي لكلمة – الراهب- يهمنا كثيرا والذي لا يتحقق إلا بالوقوف على المفهوم من خلال ما يحيل إليه من خصائص الشيء – الموضوع – وطريقة التفكير فيه فبلوغ درجة الراهب وهو المتعبد أي المرجع الديني أو الفقيه المفتي بلغة اليوم معناه الوصول إلى تحديد الخصائص وطريقة التفكير، مما يمكن من وضع المصطلح وضعا يميزه عن غيره، هو مرجعهم والمُحتكم له في شؤون العباد، فهو عالم بعلوم الدين والتاريخ متطلع على الصحف الربانية يعرف الحلال والحرام .يُرجع إليه في الاحتكام فحين تعسرت حقيقة فتية الكهف، فهم نيام وليسوا بأموات فهل يجوز دفنهم ؟ صعب

إصدار الأحكام هنا .هو قرار صعب التفهم، لذا يدخل الراهب للتاريخ من بابه الواسع ويدون اسمه بالمسرحية في أسطر شاحبة وباهتة وهو غير مهم فالأهم خُلد اسمه بمسرحية توفيق الحكيم .

ويتحدث محمود أمين العالم عن مصر مجددا وحكايات توفيق الحكيم لأنها تتغير بتغير الواقع فيقول:" ولكن مصر عندما أخرج توفيق الحكيم هؤلاء الثلاثة كانت تغلي بأمور أخرى"[1].لن مصر كانت تعيش ظلمة المسيحية، فأخرج توفيق الحكيم تزامنا مع هذا الفكر والمعتقد السائد إضافة إلى تسلط المستعمر الإنكليزي آنذاك،فالشعب المصري يعيش على يد من حديد لا تعرف للرحمة طريقا من الإنكليز وقبضة الملك فؤاد. وكأن الأحداث نفسها من الكهف إلى معارك ضد السلطة والمستعمر الغاشم :" وكانت معارك رائعة ضد الدستور المزيف والبرلمان المزيف، وكان صراع الشعب رهيبا جبارا، ضد الاستعباد والاستعمار"[2]وتفرق الناس فئات وفرق مختلفة وهنا يؤكد محمود أمين العالم على وجود صراع أيديولوجي وواقعي .

[1]- ، محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق ص65.
[2]- المرجع نفسه، ص.ن.

## II- النقد الواقعي في كتاب محمود أمين العالم

### 1- الواقع واللاواقع في كتابه: مفاهيم وقضايا إشكالية

تعيش بلاد العالم أجمع واقعا حضاريا مشتركا، لذا كتب عنوانا يبتغي منه معرفة الواقع من الحلم وعنون بالمدونة الأمر ب " الحلم والواقع والمستقبل " [1].فالحاضر هو جسر تواصل بينه وبين الماضي، وكل ما يصلنا من إبداع فهو تعبير عن واقع عايشه الأديب، وتتنوع خبراته وتجاربه وثقافته حسب البيئة الاجتماعية، فهو يخضع لكل التغيرات الواقعية من شؤون اقتصادية وسياسية واجتماعية وتطورات تكنولوجية، وكل مناهج التقدم والتواصل الإنساني، ولهذا تزداد الهوة بين واقع حضارة العصر وواقع بلادنا بين احتياجاتنا التحديثية والممارسة السياسية والاجتماعية والثقافية المختلفة عنها.وفي حديثه عن تاريخ قديم يذكر كلاما ومقالا لطه حسين الناقد المصري الشهير وخاصة بكتابه – مستقبل الثقافة المصرية – وقال عن الكتاب : " هو امتداد متطور لأرقى ما وصلت إليه عقلانية الفكر العربي الإسلامي عند المتكلمين عامة " [2].وكان طه حسين متأثرا بالثقافة الغربية ودعا للتغير الإبداعي عن هذه الملاءمة الخصبة المتنقلة عن الحضارة الغربية الزاحفة نحو التطور والعولمة وبين الركود الحضاري في الأوطان العربية ويرى أنه بات من : " الضرورات الموضوعية للواقع الوطني والاجتماعي، والاستلهام العميق للتراث" [3] فكل التعبيرات تحاول رصد ثقافة عربية جديدة تساير الواقع، لكن بحكم الاستعمار والسلطات السياسية السائدة آنذاك وقفت سدا ذريعا وصادا للازدهار والتقدم، وتحول التعبير عن الواقع إلى لا واقع، وأصبح التحدث عنه من باب الحلم، وظل الأمر معلقا وغير قابل للتطور.

كما تعرض بكتابه الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية حول العلاقة بين الخطاب الروائي والواقع فقال : " الخطاب الروائي واقع متحقق في حياتنا نمارسه إبداعا وتذوقا " [4] .فلغة الخطاب هي دلالات تنقل واقعا معينا لا يمكن الابتعاد عنه وعن أحداثه رغم تنوع

---

[1]- محمود أمين العالم، مفاهيم وقضايا إشكالية، مكتبة الاسكندرية، مصر، د.ت، ص313.

[2]- المرجع نفسه، ص 316.

[3]- المرجع نفسه، ص 317.

[4]- محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية، مرجع سابق، ص 10.

اللغات والأساليب والشخصيات والعلاقات والأمكنة والأزمنة فلن يقضي هذا التنوع عن خصوصية العالم .فهو يؤسسها ويعيد صوغها من جديد، بمعنى أدق الخطاب الروائي هو وريث للحكايات الشعبية والمقالات الأدبية بل هو استمرار لها .ويقدمه بنكهة وطبقا جديدا، وواقعه يكرر نفسه فـ : " الخطاب الروائي هو تعبير إبداعي نوعي خاص عن الوعي التاريخي – الاجتماعي العام في عصرنا كله، وبعصرنا كله، وإن اختلف هذا التعبير وهذا الوعي باختلاف الملابسات القومية والمواقع الطبقية" [1].وسؤال يفرض نفسه في دوامة جدلية فهل الخطاب الروائي مبتوت الصلة من تاريخه وواقعه ؟ فمن العبث أن يكون الخطاب بعيدا عن وغير مستمد من الواقع الاجتماعي، وينشأ بمعزل عنه، ولا ينقل أحاسيسه ولا يعبر عن معطياته فهذا : " مفهوم آلي قاصر للعلاقة بين الخطاب الروائي والواقع " [2].فقد تكون الرواية أسطورية خيالية تسبح في فضاء لغوي عميق، تسرد أحداثا عجائبية وخوارق ورموز باطنية صعبة المنال والقبول، وتتناقض مع منطقنا، إلا أن هذا لا يعني القطيعة المطلقة بين عالم الرواية وعالم الواقع، مع اختلاف بين الواقعين، فقد يكون الواقع الروائي هو رفض للواقع السائد مهما اختلفت طبيعة الرفض. فالخطاب الروائي يسند لصاحبه وخبرته الذاتية ومواقعه وموقفه الاجتماعي، ومع هذا فهو جزء من الإنتاج الاجتماعي العام.

## 2- الواقع والثقافة في مصر:

تمخض عن فكر محمود أمين العالم التأثر الفاضح مع الشاعر والناقد الانكليزي ت.س. إليوتو هو :" من أكبر الرؤوس الرجعية في الفكر الحديث، والكتاب تحديد لمعنى الثقافة بما يتفق وكافة مقومات الرجعية من تجميد لحركة الواقع " [3]الكثير من المشكلات التي لم تجسمها الساحة الأدبية في مقالاتها المتفرعة، وهذه الحقيقة شكلت رؤية جيل جديد بتفكير حداثي غلبت عليه الواقعية المفرطة في تحديد المواقف إضافة إلى الإحساس العميق بأهمية الثقافة فهي :" كتعبير فكري أو أدبي،أو فني كطريقة خاصة للحياة، إنما هي في الحقيقة انعكاس للعمل الاجتماعي الذي يبذله شعب من الشعوب بكافة فئاته وطوائفه ومظهر لما يتضمنه هذا العمل الاجتماعي من علاقات متشابكة،وجهود مبذولة واتجاهات فالأساس الذي تقوم عليه الثقافة إذن، ليس شيئا جامدا، أو عقيدة محددة،وإنما هو عملية لها

[1]- المرجع السابق، ص 12.
[2]- محمود أمين العالم وآخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية، ص 15.
[3]- محمود امين العالم، عبد العظيم انيس : في الثقافة المصرية مرجع سابق، ص25.

عناصرها المتفاعلة واتجاهها المتطور"[1].فالإبداع الشعبي هو جزء من الثقافة بتعدد علاقاته المعقدة ويُعدُّ : " الإبداع مشروع الثقافة،فبهذه الوسيلة تُقدّم الثقافة انعطافا من شأنه أن يمنع تأثير الشيء نفسه، وتُرجيء الثقافة من خلال حضورها الدلالي التلذذ المستحيل الذي ينتج من اللقاء بالغياب الكلي فتعطي الثقافة متعة لدى قيامها بهذه العملية "[2] من هنا احتلت الثقافة مكانة مرموقة و مساحة وجود لها داخل الوسط الفني كبديل محدد للنصوص الأدبية، وبحسب رأي محمود أمين العالم أن الدين هو أحد مقومات الثقافة ولكنه ليس هو الأساس ويؤكد على العمليات التفاعلية في المجتمع وهنا محور الواقعية في الثقافة عنده، أي أنها تستمد قوتها وجذوتها من الواقع بعيدا عن ضفاف الدين والسياسة والاقتصاد أيضا لا دخل له في الثقافة وبناءها وترقيتها داخل الوسط المجتمعاتي الواقعي فيقول :" فنحن لا يمكن أن نحكم على عمل فني، أو قصيدة شعرية،أو نظرية فلسفية، بأن نردها إلى عامل اقتصادي معين لأن هذا العامل لا يمكن أن يكون علة مباشرة لهذا العمل أو ذاك . وإنما هو فحسب، عامل حاسم موجّه من العوامل المتفاعلة في العملية الاجتماعية"[3]– فثمرة الحوار مع الذات والتاريخ والواقع الذي كان تعبيرا عن الحقيقة في طورها اللاشعوري بلغة الصمت لحظة الإبداع الفني، ولكن هذا الحوار الصامت، هو من الواقعية الحيوية داخل أعماق الروائي والشاعر والأديب عموما التي يتعذر كشفها وبلوغها، لكن يمكن أن نعثر على تجربة مأساوية بالغة الفرادة، فالمبدع تهتز مشاعره أمام واقع مجتمعه الذي يعيش لحظته كلحظة فراق أو تلاق ..إلخ .

إن ارتباط الكتابة الإبداعية بإشكالية المنطقة الجغرافية، يحيل إلى تحديد العلاقة بين المناخ والأدب، والقول أن في المناخ الجغرافي معطى له تأثير في الإنتاج الأدبي قائم،فالعامل الجغرافي حقا له فعالية في العملية الاجتماعي.كما يصف طه حسين بقوله:" بالاعتدال المصري الذي يشتق من اعتدال الجو، ويأبى على الحياة الإنسانية أن تسرف في التجديد"[4].ويرى غيره أن اعتدال الثقافة المصرية وعدم إ إسرافها في التجديد مرتبط بعوامل أخرى يقدرونها إلى عوامل الغزو والتاريخ الحافل بمزيج وتلاقح الثقافات التي عششت ردحا من الزمن على بسيطة وارض مصر. كذلك الشأن للجنس البشري الذي يطرحه محمود أمين العالم والعلاقة بين الذهنية الشرقية والذهنية الغربية

[1]- المرجع السابق، ص25،26.

[2]-كاثرين بيلسي:: الثقافة والواقع، نحو نظرية للنقد الثقافي،ترجمة :باسل المسالمة،مكتبة التنوير،دمشق سوريا، 2017، ص 114.

[3]-محمود أمين العالم، أنيس عبد العظيم: مرجع سابق، ص26.

[4]-المرجع السابق، ص26.

العرقية وهي تفرقة ليس لها سند من الصحة فيقول :" فالعقل الإنساني واحد مشترك في خصائصه الجوهرية، وليس ثمة عقل شرقي وعقل غربي، أو ثقافة شرقية وثقافة غربية، وإنما هي اختلافات تقوم على أساس تغاير الملابسات الاجتماعية و تمايز المستويات و تنوع العمليات الاجتماعية" [1] فالثقافة غير محصورة في عامل محدد وليست حبيسة فكر معين، بل هي انصهار لعمليات متنوعة والكتابة الإبداعية في صورتها المبتغاة هي مجموع العلاقة، ذلك أن تجسيد هذه العلاقة لا يتم إلا من خلال استقطاب لموضوعات إنسانية من أجل استدراجها للتفكير والمعرفة المنظمة بالكون والوجود والحقيقة، وفي هذا المنحى تلج الكتابة الإبداعية الثقافية بالذات لبناء خطابها الأدبي، بغض النظر عن الشكل والجنس واللغة والمخيل بكل دلالاته الثقافية، لتتحول فيها الكتابة في بعدها الجمالي إلى صيغة تشيد مادة مفتوحة للتأويل ، وبالتالي فالقاعدة المنهجية للإشكالية في بعدها النقدي والفلسفي الجمالي، تتم في إطار وحدة تنتمي إلى مجال ثقافة الإبداع – واقع الأدب – وهي تروم تحطيم الحواجز بين المعارف، وتتوخى تدبير حرية انتقالها بين مختلف التخصصات، كما تسعى للبرهنة على ضرورة إعادة النظر في كل ما يكرس الفكر الأحادي المغلق والمحدود، في زمن يقوم على تحطيم الحواجز بين المعارف، ويربط الاتصال بين مختلف الميادين المعرفية دون أن يلغي الحدود بأكملها .ومن خلال المفهوم الذي يقدمه محمود أمين العالم للثقافة نستطيع أن نقف عليه وهو موصول بمفاهيم الفكر والواقع، وبعبارة أخرى، ما إن يطرح اللاواقع حتى يطرح الواقع، وهي الفكرة ذاتها التي تُطرح في فلسفة العقل حين نتساءل هل كان العقل دائما عقلانيا؟

قال ماركس، لقد استخدم العقل، لكنه لم يستخدم دائما بشكل عقلين فأشد المدافعين عن اللاعقلي يستخدمون العقل، لذلك:" فالبحث عن حقل آخر لتعيين المعقول واللامعقول خارج العقل المجرد هو الواقع"[2]، فمتى يكون الواقع معقولا ولامعقولا؟ في ضوء الإجابة على هذا السؤال، تتحدد طبيعة العقل ذاته من حيث علاقته بالواقع فما الواقع العقلي وما الواقع اللاعقلي؟ ذلك ليس كل واقع عقليا، وليس كل عقلي واقعيا، ف :"الواقع العقلي هو الواقع الضروري تاريخيا حتى وإن لم يتحقق في الواقع، والواقع اللاعقلي هو اللاضرورة تاريخيا حتى ولو تحقق في الواقع، إن الضرورة التاريخية، وقد غدت معيارا لتمييز الواقع العقلي من الواقع اللاعقلي بمعزل عما هو

[1]- محمود أمين العالم، أنيس عبد العظيم: مرجع سابق ، 26.
[2]أحمد برقاوي: ما التنوير؟ الطريق ع/3، مايو/يونيو 1996، ص 6

متحقق واقعيا، قد تحولت إذا إلى أداة تمييز بين نمطين من العقل في علاقتهما بالواقع".[1]إن جدلية الثقافة في مصر في ضوء المعطى السابق، تنفي الطابع النهائي لكل الممارسة الإنسانية العملية والنظرية، استنادا إلى منطق الكشف عن خصائص ثقافة مصر فيقول:" إن السبيل السليم للكشف عن خصائص ثقافتنا المصرية هو تحليل مختلف التعابير الفنية و الأدبية والفكرية في تفاعلها مع واقعنا الحي،تحليلا يكشف عما لها من وحدة وتماسك، ويعكس ما تتضمنه من مواقف واتجاهات وقيم.."[2]

يدرج محمود أمين العالم هاهنا تجربته الذاتية في تجربته الكتابية و في صوت الناقد البارع لا بمعنى الموضوع، بل بمعنى المنظور الفكري والفلسفي الذي جوهره المثقف العربي ووعيه، يضاف إلى ذلك عنصر الكينونة الذي يحيل على الموقف، زمن سياسي بين ماضي وحاضر لذلك يصوغ الأديب لنا العلاقة بين الواقع والمتخيل ويعدها علاقة حتمية :" يرى البعض أن الكتابة الإبداعية مرهونة دائما بالواقع المجرد، ومنفعلة به وهذا يقضي على أن العلاقة بين الإبداع والواقع أمر حتمي " [3]وعي الأديب ووقوفه على ضفاف واقعه فينهل من حياته اليومية ووقفاته مع مجتمعه فيُنتج أدبا ممزوجا بشيء من الخيال والواقع :" فالروائي يجلس مع أدواته يستعيد الماضي،الذي كان واقعا مأزوما ويحوله إلى واقع متخيل يضم في خفاياه الحقيقة العميقة"[4].فالأديب ينقل الحقيقة كما هي من شخوص وأمكنة وأزمنة ف:"الحقيقة في ذهن الفنان شيء يخلق وليس موجود أصلا وما يرمون إليه إيجاد أعراف جديدة تستطيع أن تحدث بصورة أفضل إيهاما بالحياة الواقعية عن طريق تضييق الشقة بين المحاكاة الرمزية للعالم الواقعي والعالم نفسه،وإنما يسعى أن يخلق عالما متخيلا مقاربا للواقع المعيش"[5] هنا تحقق الذات ــ الأنا ــ انسجامه مع العالم، فلا يقف أمام لغز السؤال أو لغز الواقع السياسي، بل يقيم تنافرا بينه وبين الآخر، ومن جهة ثانية يقيم مادته الأدبية من واقعه فيقول محمود أمين العالم:" إن المفكر أو الفنان أو الأديب عندما يعبر إنما يختار مادته الخام من عناصر هذا المجتمع ومن علاقاته المتفاعلة، أراد هذا أم لم يرد، قصد أم لم يقصد،وإن هذه العناصر والعلاقات

---

[1]المرجع السابق، ص 6

[2]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص26

[3]-محمد داود فائزة: على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد،وزارة الثقافة السورية ،ط1،2014، ص124.

[4]- المرجع نفسه، ص121.

[5]-محمدي محمد محبوبة، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة للكتاب سورية،(د.ط)،2014، ص40.

تكشف في داخلها عن موقف محدد "[1] فترتبط كتابة محمود أمين العالم بالثقافة داخل الأوساط المصرية مستمدا من واقعه الأمر بشكل عميق من وسطه الاجتماعي فصوّر أزمة وطنه جوع فقر حرمان استعمار ووحشيته الظالمة،فهو يصف هموم شعب ومشكلاته المتأزمة والمستعصية عن فك شفراتها،وما تعانيه طبقات المجتمع آنذاك وهو تحت مطرقة المستعمر الإنكليزي فتكالبت عليهم الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الآن نفسه. فيقول:" هذا الاخطبوط الاستعماري الجاثم على وجداننا القومي، المعرقل لعملياتنا الإنتاجية الإبداعية، وعلى هذا، فإن اختياره لمادته الخام، ومعالجته لهذه المادة ستحدد صدقه في مواجهة هذا الواقع،وفي صياغة حركته والتعبير عنه"[2] .

ولقد استعاض محمود أمين العالم من فكرة الأديب الإنكليزي والتي تطرح فكرة أن الثقافة وجذورها لها امتداد ديني، وليست أي دين بل هي تستضيء من المسيحية التي عمت أوربا وآسيا وأمريكا،والكاتب يؤسس قاعدة خاطئة أن الثقافة هي الدين لذا يقول محمود أمين العالم :" وأنا إذ أنكر على ت.س. إليوت أن يجعل من الدين أساسا لوحدة الثقافة فإنما أنكر كذلك كل محاولة لإقامة الثقافة على أساس جامد واحد، سواء أكان هذا الأساس شيئا ماديا أو عقيدة روحية "[3] بهذه الطريقة حينما يحدد ت.س. إليوت الثقافة بالدين فهو يتجاهل الجانب الاجتماعي الواقعي .إ نَّ تداخل الديني بالثقافي وإمّحاء الثَّقافي في الديني وذوبانها في أي دين هو الذي يبرِّر واقعيًا طرح المشكل التَّالي: ما علاقة الدين بالثقافة؟ هل تقوم على التنابذ والصدام الإيديولوجي والمنهجي بحيث حين تحضر الثقافة يتوارى الدين وحين يحضر الدين تختفي الثقافة؟ هل الدين هو كل الثقافة وهل الثقافة في جوهرها دين؟ هل الأسبقية للديني أم للثقافي؟ وهل الدين هو الأصل والثقافة هي الفرع؟ أم في البدء كانت الثقافة؟ بمعنى آخر هل أن التداخل الذي نشهده في العالم المعاصر بين الديني والثقافي والحضور الكثيف للديني في الوسائل السمعية البصرية وفي الفضاء العمومي والمجال السياسي والإسراف في الحديث عنه والتَّرثرة حوله من قبل مختلف الطبقات الاجتماعية وحتَّى الثقافية يجعلنا نقرُّ بأن الدين هو الثقافة في مجملها، أم أنَّ الدين لا يعدو أن يكون مجرَّد رمز من رموز الثقافة المتعدِّدة والمتنوِّعة؟ وهذا ما يبتغي محمود أمين العالم الإفراج عنه في مقاله هذا منطلقا من مقولة ت.س. إليوت. الذي اختزال الثقافة إلى مجرَّد فهو يعمل على اغتيال للعقل والإنسان واختزال للوجود

[1]-محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص28.
[2]- المرجع نفسه ،ص 29.
[3]- المرجع نفسه، ص25.

الإنساني وتحويله إلى إنسان ذو بعد واحد،كما أعلن الفيلسوف الألماني هربرتماركوزه، على البعد الواحد للإنسان هذه المرَّة لن يكون نتيجة عقله الأداتي والتقني وما أحدثه من اغتراب، وإنما نتيجة تفشِّي الجهل المقدَّس أو قصور في الفهم على حدِّ عبارة الفيلسوف الفرنسي المعاصر أوليفييه واغتراب الإنسان في البعد الدِّيني.

لا بدَّ من الإشارة بداية إلى أنه لا تحديد للدين ولا تحديد للثقافة ولا حتى العلاقة بينهما يمكن اعتبارها تحصيل حاصل أو من الثوابت التي يستحيل تجاوزها،فهناك برزخ يمنع امتزاج الفكرتين ذلك أن كلَّ جيل وكل عصر مطالب بالتحليل النقدي لهذه المعاني لإثراء ما بنته الأجيال السابقة وما راكمته واحتفظت به من دلالات، فلذا طه حسين يعبر عن ذلك بقوله: " لمصر مذهبها الخاص في التعبير ومذهبها الخاص في التفكير" [1] لذا كان للاستعمار وما جلبه من دين وثقافة جديدة الأثر السلبي عن المجتمع المصري، فالأديب وليد البيئة التي ينشأ فيها،ويترعرع في أحضانها، ومن المسلم به اليوم أن:" صور الأديب و خياله ومشاعره ومزاجه الفكري مستمدة من واقع المجتمع الذي نشأ فيه، وفضلا عن ذلك فعملية الكتابة والطباعة و النشر عملية اجتماعية لا يمكن تصور قيامها بغير الناس،الذين يكتب إليهم الأديب وينشر لهم و يؤثر فيهم"[2] .من هنا يفترض عصرنا أيضًا طريقته في فهم وتحديد دلالات طرق فهم العالم والعيش فيه. فما يميز القرن العشرين أنه مأخوذ بالصراعات الكبرى وهيمنة الأنساق الشمولية والتحولات السياسية ومنشدٌّ للدفاع في نفس الوقت عن الكرامة الإنسانية وعلى تكريس ثقافة السلام رغم كل الحروب والنزاعات التي تشق المجتمع الواحد والعلاقات بين الدول وعلى الدفع بالتطور التكنولوجي والاقتصادي، كل هذه الاعتبارات جعلت من الحداثة وما بعدها تقدم لنا تصورًا خاصًا للثقافة والدين وللعلاقة بينهما، فمنذ العولمة والتكنولوجيا المتسارعة والمتصارعة عملت ما بعد الحداثة على خلق مسار لم يكن معروفًا يتمثل في التخلص من الماضي ونسيان التاريخ الذي يعيق التقدم العلمي والثقافي. فقد أصبح مفهوم التقدم مفتاح التأويل الذي يسمح بفهم العالم وإدراكه كمجموعة أحداث وليس كمجموع كائنات.هذه التغيرات فرضت التأقلم مع الظروف الجديدة حيث أصبحت الحداثة معممة وفي متناول الجميع تقريبًا فمست طرق تفكيرنا وإدراكنا للحقيقة والواقع بما في ذلك الثقافة والدين عبر تعديل طريقتنا للوصول إلى سرِّ المتعالي

[1]- محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس: في الثقافة المصرية، مرجع سابق ، ص27.
[2]- المرجع نفسه، ص31.

والمحايث للعالم. فحسب رأي عبد العظيم أنيس :" ومن الملحوظ في كثير من الأحيان أن النظر الجزئية الضيقة للبيئة والتجربة البشرية المحدودة لها آثار،أبعد من تلمس الجانب الفني فقط في إنتاج الأديب" [1]كل هذه الأحداث تؤثر على وضع الدين في الثقافة والعملية الإبداعية، ويتعدى مفهوم الواقعية في الأدب علاوة عن المجتمع إلى أسلوب المبدع ف:" فالواقعية لا تتمثل فقط في اختيار الموضوع، وإنما في الشكل الذي يصب فيه هذا الموضوع، في الأسلوب الذي يعبر به الكاتب عن هذا الموضوع"[2] تنطوي كلمة الدين على معانٍ عديدة ومتشعِّبة حتى يبدو لك أنه يستعمل في معاني متباعدة بل متناقضة، فالدين هو الملك وهو الخدمة هو القهر هو الذل هو الإكراه هو الإحسان هو العادة والعبادة وهو السلطان وهو الخضوع هو الإسلام والتوحيد وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبد به. أما الثقافة أو في معنى الثقافة عموما فتعتبر من المفاهيم الديناميكية التي تُحدد بطرق مختلفة ومتنوعة، فقد تم ربط الثقافة المعاصرة بعديد التغيرات العميقة على مستوى الموضوعات أو على مستوى الواقع الأدبي فهي منارة يُستضاء بنورها فبفضلها يصل الإنسان إلى ما ورثه من الأجيال الماضية، في جميع المجالات العلمية والفنية وكلها تدعوه أيضًا إلى عملية خلق مستمرة لذاته بما يقدمه من آثار إبداعية خالدة مستمدة من واقعه ومجتمعه . فقد تعبر الثقافة عن ثقافات جزئية على ضوء مجالات وتجارب مختلفة للحياة الإنسانية مثل الحديث عن ثقافة سياسية أو ثقافة اقتصادية أو ثقافة دينية.....الخ. كما يمكن أن ترتبط الثقافة بمعنى ما هو مادي مرتبط بالمنتجات التقنية والعلمية كما ترتبط بما هو روحي وبتكوين العقول وتطويرها وانفتاحها عن آفاق عالمية فهي وصفية معيارية تاريخية وراثية بنائية وحتى سيكولوجية . ومن هنا يمكن أن تكون ثقافة فردية تخص أديب بعينه أو جماعية في وسط اجتماعي وبيئي تعيش فيه نخبة كما هو حاضر معنا في كتاب في الثقافة المصرية .فالثقافة مجال ديناميكي للحياة الإنسانية فالقدرة على الإبداع متجذِّرة في الطبيعة البشرية، فمنذ أزل الإبداع والإنسان المثقف الواعي له مغنطة حول الإنتاج وفي نموه الشخصي حيث لا يتوقف دور الثقافة على مجرد تحويل الطبيعة بل هي تتجاوز لمستوى خلق مجموعة علاقات بين البشر. فحين يبني الإنسان نفسه ويتواصل مع أغياره فهو يبني ثقافة في حالة من التغير والتطور والبناء، وفي

[1]- ، محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص32.
[2]- المرجع نفسه،ص 33.

الوقت الذي تكون فيه الثقافة حارسة لذاكرة الماضي فهي أيضًا حافزا ايجابيا و منبعا للمضي قُدما نحو الأفضل، في الوقت نفسه الذي يكون فيه متجهًا إلى المستقبل، يتحقَّق في الحاضر.

## 3- محمود أمين العالم والواقع الاجتماعي ودعوته للتجديد:

كتب العقاد مقالا لاذعا بتاريخ 1954/02/27.يتهجم فيع عن المؤلفين : محمود أمين العالم و عبد العظيم أنيس باعتبارهما أدعياء التجديد وهما يفتخران بالأمر ذاته الذي أفزع الكثير و أقض مضجعهم. ويوجه إليه محمود أمين العالم بالمثل بجمل تهكمية وعدّه في منام عميق لأنه عبيد للقديم فيقول عنه:"فهو في حاجة إلى أصدقاء – أو قل إن شئت إلى أتباع- يوقظونه من السبات العميق ويقولون له أفق يا مولانا الكاتب الكبير فإن الأدعياء و التافهين يتقولون عليك الأقاويل و ينشرون عنك الأكاذيب ؛ فيصحو الكاتب الكبير"[1] . ولعل الدكتور طه حسين يخفف من وطأة الصراع بإصدار مقال يحمل عنوان بجريدة صورة الأدب ناقش فيه العلاقة بين الصورة والمادة في العمل الفني، تبعه كتابة مقال من محمود أمين العالم بعنوان: " الأدب بين الصياغة والمضمون"[2]. وقد حكى المقال العلاقة القائمة بين صورة الأدب ومضمونه،ويؤكد على الوحدة الفنية العضوية بين عنصري الأدب، وتحدث عن القصة القصيرة بمصر وتطورها،على يد كل من توفيق الحكيم وتيمور،ونجيب محفوظ،وغيرهم كثير، ويخلص محمود أمين العالم في تحديد معالم النقد في أربعة نقاط تتمحور في الآتي:

أ- أن المادة الأساسية والجوهرية في الأدب لا تقتصر على المعاني التي يعالجها النص، وإنما تتعداه حسب رأي طه حسين بقوله:" وإن كانت المعاني إحدى أدواتها، أما المضمون فهو إحداث العمل الأدبي، وهي التي تعكس مواقف ووقائع اجتماعية"[3].من هنا نفهم الطبيعة المركبة للثقافة وللنص الأدبي التي تشمل المعنى والمضمون ويتقاطع المضمون الرمزي بالواقعي، ويصدر منه .غير أن أهم ميزة يمتاز بها النص الأدبي هو سعيه لأن يكون خارجا عن واقع اجتماعي ومجايلا للعصر للإنسان قريب منه، ومعبرا

[1] محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس: في الثقافة المصرية، مرجع سابق ، ص46.
[2]- المرجع نفسه، ص47.
[3]-. محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس: في الثقافة المصرية، مرجع سابق ، ص 47

عن طموحاته وأهدافه، وذلك عبر تخلصها من التعالي بمعنى الكائن المتعالي، وحتى التعالي تتعامل معه بمنطق المحايثة بمعنى الحضور الدائم في ثقافة الواقع، فهذه الثقافة التي لا تثبت أي تعال وترفض أي خيالو تُذعن إلى الحقيقي الواقعي.

**ب-** كما أن الصورة الأدبية لا تقتصر عن لغة النص وانتهى، كما يقول طه حسين:" و إن كانت اللغة أداة من أدوات الصورة، و إنما الصورة في تقديرنا هي عملية لتشكيل المضمون و إبراز عناصره،

**ت-** إن لكل عمل أدبي جذوره الاجتماعية،وتكمن في موقف الأديب من واقعه إذ تصوّر :" مشكلات هذا الواقع وهمومه على مستوى طبقة اجتماعية كاملة، فهموم شخصياتها مرتبطة وتنمية مقوماته تنمية طبيعية في داخل العمل الفني"[1]لا شك أنه توجد بين العمل الفني والثقافة مستويات عدة من العلاقة حيث يمثل النص الأدبي في مستوى أول ثقافة كاملة لشعب أو أمة ما أو حضارة، لا نتحدث هنا عن اللغة بوصفها مجموعة من النصوص و هي تطرح مجموعة من التعاليم والشعائر والقيم فحسب بل هيكيان مجسد في طقوس اجتماعية وتقاليد وأفعال يمارسها الناس أيضًا أي من حيث صيرورتها بوصفها نظامًا من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فهي تصف الممارسات الموجودة في الحياة داخل النصوص و طريقة استيعابها من قبل العامة والتعبير عنها وممارستها من طرف المؤمنين بها في حقل اجتماعهم المدني واليومي، ويمكن اعتبار اللغة شكلاً من أشكال الثقافة بوصفها تعبر عن رؤية للعالم والطبيعة والوجود الإنساني ومن واقع كونه يقدم تصورًا هاما لبناء المجتمع .بهموم الواقع الذي يحتويها، وما تعانيه من أزمات خاصة ذاتية يرجع في جزء منه إلى طبيعة الظروف الاجتماعية و الأوضاع السياسية القائمة" [2] .والأمر ذاته يُقرّه محمود أمين العالم فيقول:" فلا مفر من إبراز الدلالة الاجتماعية للمضمون الأدبي،و إن هذا التحديد لا يتعارض مع توكيد قيمة الصورة أو الصياغة، بل قد يساعد على الكشف عن كثير من أسرار هذه الصياغة "[3]. وقد تكون الحادثة الواحدة تحظى بتعابير مختلفة وبكلمات وأساليب متباينة وكلها تصب في نفس

---

[1]- المرجع السابق، ص47.

[2]- شفيع السيد: اتجاهات الرواية العربية، دار الفكر العربي،مصر،ط3، 1996،ص 97.

[3]-محمود أمين العالم، في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص47.

الغرض :" يُواجه الناثر عددا وافرا من الطرق الضيقة والواسعة والممرات التي رسمها الوعي الاجتماعي في الشيء " [1]. فالحادثة نفسها تُكتب بصيغ متنوعة حسب المبدع ووجهة نظره وأسلوبه، مستندا على مخزونه الثقافي والأدبي. ومتعة المبدع تتجلى من خلال لغته، التي تنقل فحواه الفكري، وتُعبر عن مكنوناته .

**ث-** يصف محمود أمين العالم النقد الأدبي على أنه ليس مقتصرا على الدراسة العملية للصياغة في صورتها الجامدة، ويقول: " بل هو استيعاب لكافة مقومات العمل الأدبي وما يتفاعل فيه من علاقات و أحداث وعمليات، وبهذا يصبح الكشف عن المضمون الاجتماعي،ودراسة عملية الصياغة للعمل الأدبي ." [2].صحيح أن الإنسان منذ أن ألحق العالم به أصبح يعاني من مهام العيش وقلق الموت مستاء من الجوع والمرض ومن الحلول الملغز لليل وسيمفونية الكواكب المذهلة ويميل بشكل اختياري إلى حالة من النرجسية لا نهاية لها، بما يوحى بأن الواقعالذي كان يوظف لدرء القلق قد يصير بدوره مقلقًا. وكيف نطمئنَّ لمجتمع متمدّنوه أعلنواعولمة مفرطة مسايرين للتكنولوجيا الحديثة .

من هنا نستنتج أن ما أنتجه العلم والعولمة من وسائل علمية وتقنية وما أفرزته من وسائل اتصال وتواصل اجتماعي وماوعدت به العولمة البشرية من السير بها قدمًا نحو الثقافة والعلم والتقدم العلمي والأدبي والفني وما قدمته من قيم ورفاهية وثقافة ثرَّة ذات زخم معرفي متجدد كحقوق الإنسان وتحريرِه من كل القوى التي تحاول أن ترهبه وتخيفه من الوجود . بل إن ما نراه في واقع الحال هو تضافر العديد من الجوانب الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية من أجل تطويع الإبداع ليُعبر عن واقع ملموس ويُواكب الحياة العملية للإنسان الحاضر.وعلى هذا الإنسان حين يبدع القيم الأخلاقية والجمالية والسياسية وحين يبدع الآداب والفنون والمعاني، حينها يصبح مشروعه مشروع الإنسان المثالي .

### 4- سؤال الوجودية والواقع؟وحديثه عنها في كتابيه في الثقافة المصرية ومعارك فكرية

كان المجتمع اليوناني يقوم عل التفرقة بين طبقتين اجتماعيتين طبقة عليا وهي الحاكمة وطبقة دنيا وهيي اليد العملة والمنتجة، وجسد العبيد بلغة كلاسيكية هو الذي يتحكم في نفسه، بينما النفس هي

[1]-والاس مارتن: نظريات السرد الحديث،تر: حياة جاسم محمد،المجلس الأعلى للثقافة،1998،ص199.
[2]- محمود أمين العالم : في الثقافة المصرية، ص47.

من تتحكم في الجسد عند الحاكم والطبقة العليا،فلهذا من العدل أن يخضع العبد لسيده، من هنا يحيل السؤال كما قرره محمود أمين العالم في كتابه " في الثقافة المصرية"، إلى تلك البنية المضمرة والظاهرة بين المثقف والسلطة، وخاصة بين المواطن المصري، وجهاز الحكم،وهو السؤال الذي يقع على الحد الفاصل بين الديمقراطية والاستبداد والقهر، أو بين الامتثال الذي يتصاعد ليبلغ أعلى درجات مأساوية في الامتثال الطبيعي والخنوع الإجباري، فهو يبدأ إراديا، ثم يصبح جزء عضويا وعاديا من الحياة اليومية، وتألفه النفس البشرية، ومن هنا يُطالب الدكتور بدوي الفرد بالخروج من عزلته والانضمام لواقعه بل : " يدفعه إلى الخروج من ذاته ؛ يدفعه إلى ما يسميه بالسقوط،إلى الاتصال بالغير، لأنه بهذا الانتقال على الغير ينتقل من حال الإمكان إلى حال التحقق"[1] . وعليه فالمجتمع والواقع يكون مؤثرا في الفرد لاعتبار :"المجتمع بالمعنى السوسيولوجي هو شبكة من التفاعلات والعلاقات الاجتماعية التي تربط جماعة بشرية، وينجم عنها قيم و معايير ونظم و أعراف وقوانين تنظم وتضبط حياة هذه الجماعة خلال حقبة زمنية في بيئة جغرافية" [2]وعندها يتحقق حلم الدولة العبودية، أو حلم إلغاء دور الإنسان في الحياة، وهنا تتطرق في كتابه غل فصل مهم بعنوان الحرية وتحدث باسهاب عن الفلسفة الوجودية : " لماذا قامت في عصرنا فلسفة كاملة للحرية هي الفلسفة الوجودية تنادي بأن وجود الغنسان هو حريته " [3] .وتقوم العديد من الخلافات حول هذا المفهوم الواسع حسب الواقع الذي يتربى فيه تعريف أرسطو للحرية ينطلق من المجتمع والواقع الاجتماعي يقول محمود أمين العالم : " فتعريف أرسطو للحرية مثلا ينبثق من النظام الاجتماعي الذي كان يعيش فيه وتعبِّر عنه فلسفته " [4] .

وعليه فالدكتور بدوي يدعو إلى الفعل والعمل فخطيئة الفعل أفضل بكثير من براءة اللافعل. ينتقل بعضها في المقال إلى الأخلاق الوجودية،ويتساءل بداية عن تعريف الأخلاق ؟ فهي :"تقويم، أي حكم على شيء معين أو مسلك بقيمة معينة، ولكن التقويم لا يكون إلا بالقياس إل معيار عام، كأن تحكم على مسلك بأنه خير، مثلا قياسا إلى معيار عام، هو ما يسمى بالمثل الأعلى لهذا المسلك، وهذا

[1]- المرجع السابق، ص69.
[2]-عبد المجيد لبصير: موسوعة علم الاجتماع، دار الهدى عين مليلة الجزائر2010،ص408.
[3]-محمود أمين العالم ن معارك فكرية، ص227.
[4]-المرجع السابق، ص 228.

المعيار موضوعي، أو ليس من صنع الذات الفردة" [1] ومن هنا فإن الأخلاق وُجدت منذ القدم وليست حديثة الوجود، وتحسنها غير مرهون بتقدم الزمن بقدر ما أنه مرتبط بنضج الإنسان وزيادة وعيه وتشبثه بدينه، وهو لا يبتعد عن أخلاقيات واقعه، وبالخصوص أننا نتبع الدين الإسلامي الحنيف الذي جاء برسول عظيم حمل معه رسالة إتمام مكارم الأخلاق التي تعد المرتكز الأساسي والحبل المتين لمعاملات المرء السوية مع الآخرين، فبها تصير حمولته السلوكية والأخلاقية متوافقة مع ما يتبناه من أفكار ومبادئ،ولا تتعارض مع العرف الذي يكبر فيه، وتعظم الحاجة إليها كلما تقدم الزمن وكثرت فتنه وانحرف التصرف الإنساني عن جادة الصواب، فالأخلاق بمثابة الضابط الداخلي الذي لا يكفي لوحده، والناس ليسوا كلهم أسوياء وواعون بما يفعلونه، لذا تعين أيضا استحضار القوانين سواء التي أتى بها الدين أو التي وضعها البشر باعتبارها ضابطا خارجيا ملازما لتصرفات الفرد والمجتمع، ومما لا يدعو للشك أن الأخلاق تنحط بتجاوز القانون الإلهي أو البشري وعدم إعطائه أي اعتبار لردعه وزجره لكل مخالف لما نص عليه.

لقد ناقش محمود أمين العالم قضية الأخلاق الوجودية التي تحمل أيديولوجيات مختلفة لكل من : جورد، سبيرز،هيدجر، وسارتر، والسيدة سيمون دي بوفوار، وفيها يقرر سارتر:" قواعد أخلاقية تكاد تكون في حسم فكرة الواجب عند- كانط –" [2]. ومع هذا فان الدكتور بدوي يكشف على أن الوجودية خالية من الأخلاقية فيقول : " إلى أن الوجودية لا أخلاقية، إلا أنه لا يلب ثان يكشف هو أيضا عن موقف أخلاقي لا يختلف في شيء عن التقويم النيتشوي لأخلاق السادة " [3] فهذه النظر الاستعبادية للأخلاق وجب الوقوف عند دلالاتها الخبيئة،فالوجوديون من الغرب ينكرون الموضوعية في الواقع الإنساني، ويؤكدون على الوجود الفردي الذاتي بعيدا عن واقعه ومجتمعه إن:" الوجودية فلسفة فردية موغلة تنكر الحقيقة الموضوعية للواقع الإنساني، ذلك لأنها تعد الحقيقة الوجودية الأصلية هي الوجود الذاتي الفردي، أما ما دون ذلك فضلال وتشتت" [4]. فالوجوديون يعزلون الفرد عن واقعه الاجتماعي و سياقه التاريخي، وفي الشق الثاني يبحثون عن حقيقته داخل أعماقه الباطنية، لكن حقيقة الإنسان الأصيل ليست في ذاته المنعزلة، بل هي في علاقته الموضوعية مع المجتمع

[1]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص70.
[2]- المرجع نفسه، ص، 69.
[3]- المرجع نفسه، ص72.
[4]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ، ص، ن .

وتاريخه، ويمكن أن نقرر : " الفرد كما نقول جزء من نسيج اجتماعي وتاريخي عام، وعندما نعزله عن هذا النسيج تقوم في باطنه هذه المشاعر و الانفعالات التي يعدها الوجوديون ينبوع الوجود نفسه " [1]. وبهذا التفكير الوجودي الذي يزيح الواقع من عمق الأخلاق وتأثيره في الذات فإنه لا محالة سيطرح بهذه : " الفرديات المنعزلة التي تتقوم بها الوجودية، يصبح المجتمع الإنساني عناصر متخالفة متنازعة متصارعة، لا تستهدف غير غاياتها الفردية و أطماعها الفردية، دون استبصار بهدف موحد عام" [2].أما تلك المفاهيم التي يطلقها بعض الوجوديين من كالالتزام والمسؤولية،فهي في نظر محمود أمين العالم مصطلحات مفرغة من دلالاتها .وهي تسلك أزقة مغلقة، ولهذا لا يمكن لأحد أن ينكر دور الأخلاق في تكوين شخصية الإنسان السوية والمعتدلة والمتحضرة،والرقي بالمجتمع إنسانيا، وإيمانا بأهمية هذا الدور سوف نتحدث عن الأخلاق في إطارها الزماني الحالي، وبالوسط المكاني الذي تُرسل به أخلاقا وتكتسب أخلاقا تثمنها أو تختلف عنها، وهذا ما يحتم علينا طرح مجموعة من الأسئلة التي تحتاج لنظرة فاحصة ممزوجة بالنقد، لكي تتم الإجابة عليها بشكل مدقق وفق نسق حيادي متجرد من الأهواء والميول الذاتية والأغراض الشخصية. ما هي طبيعة الأخلاق السائدة في مجتمع اليوم؟ وما حقيقتها؟ وهل هي ثابتة أم أنها تظل نسبية تتغير بتبدل بعض المتغيرات؟ فأن يكون هذا الزمن متطورا ماديا في التقنية والتكنولوجيا والصناعة و يُحوِّل الواقع إلى قرية صغيرة،لا يعني أنه كذلك في الأخلاق والقيم والإنسانية، وهذا التباين الحاصل مؤشر واضح على وجود خلل في تركيبة الإنسان المعاصر، بل هو دليل قاطع على حالة الانحدار السريع نحو تلاشي القيم الأخلاقية وضمور الحس الإنساني، لأن أصل الصلاح البشري ليس بلوغ التطور المادي وإنما التوفر على فكر سليم وروح نقية وقيم نبيلة، وفي حال غياب ذلك أمام الاستفحال المادي الواقع في عصرنا فإن الانحدار الأخلاقي حتمي وسيكون مصير البشرية الذي لا مفر منه.فالأخلاق بمثابة اختبار حقيقي للنبل والارتقاء الإنساني، وفي حالة السقوط وعدم القدرة على النجاح فيه لا يتهشم الفرد تهشما معنويا فقط بل وواقعيا أيضا .، فالتبجح بالأخلاق كما هو الحال في هذا الزمان والادعاء بالطهرانية أمر مقرف جدا إذا كانت حقيقة المرء على نقيض ذلك، ويبقى الفعل دائما في مواقف الحياة أبلغ من القول، فحين يكتشف عدم صدق ما يتم ادعاؤه في الواقع المعيش،

[1]- المرجع السابق، ص 73.
[2]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية ، ص74.

ينهار كل ما تم بناؤه سواء بالتمثيل أو التصنع أو النفاق، ولا يعود لذلك أي أثر إيجابي بل يصير ذلك سببا قويا للنفور ممن يتصرف بمثل تلك الأفعال، لا سيما التي تتعارض مع القيم الإنسانية النبيلة.والأخلاق بصفة عامة هي أوصاف الإنسان التي يتصرف بها مع غيره، وقد تكون حقيقية أو مزيفة؛ فحين يتصنع المرء ضمنيا لا تعود تلك الأوصاف تمثل ما يحمله الشخص في داخله على حقيقته، كما أن الأخلاق ليست أقوالا فحسب بقدر ما هي تطبيق عملي يتجسد في تصرفات الفرد التي تحتمل الصدق والتصنع، والمواقف الحياتية وحدها من تمكننا من أن نتأكد بموجبها مدى صدق الأخلاق الظاهرة لنا، ولا يقدر المرء على الجمع بين فضيلة كونه أخلاقيا في الجانب الشفهي والفعلي معا إلا إذا كان إنسانا راقيا ما زال ضميره حيا يشتغل بشكل جيد.

والناظر في أحوال الناس اليوم لا يرى أي تعاظم للمنظومة الأخلاقية في نفوس الآخرين أمام المغريات المادية والمصالح الشخصية والمنافع الذاتية، فالتبجح بخلق الأمانة على سبيل المثال ليس أبدا دليلا كافيا على حسن الائتمان في ظل غياب بوادر الصمود أمام شدة الحاجة لما تم الائتمان عليه. لهذا نعاين في هذا الزمن تراجع الناس معنويا وروحيا في كل شيء له ارتباط بالضمير والحس الإنساني، ربما يكون هذا الحكم قاسيا نوعا ما، وقد يبدوا لكم أنه يحمل شيئا من السلبية والسوداوية، لكننا في الحقيقة لا نستطيع أن نكون أكثر من هذا وإلا وقعنا في المحظور أخلاقيا ونحن نتحدث عن هذا الجانب الجوهري الحساس في الإنسان.ولا يحتاج كلامنا لدليل أكبر من الواقع المعاش حاليا، لذا قررنا ألا نقيسه إلا بمقياس الأخلاق بالرغم من أننا في زمن المظاهر، ولو أن منطق الحياة المعاصرة يفرض علينا أن نحسب حساباتنا بمقاييس أخرى بعيدة عن الأخلاق، إلا أنه لا يمكننا أن ننفصل بشكل نهائي عنها، ولن نستطيع وإن أردنا ذلك بالقوة، فمهما ابتعدنا عنها في واقعنا إلا وأدركنا جيدا في عمق أنفسنا أن العودة إليها حاصلة ولو بعد حين، فلا يمكن بالمطلق تجاهلها وعدم وضعها في الحسبان حتى وإن اختارت غالبية البشرية الابتعاد عنها طواعية أو أجبرت على ذلك بالإكراه.

الأخلاق الحقيقية تطبع الإنسان بطابع قيمي فعال يبعد عنه الحيوانية التي تضغط عليه باستمرار بفعل غرائزيته وشهوانيته، فكلما كانت منظومته الأخلاقية متماسكة توافق بين واقعه الظاهر والباطن إلا وأصبح أكثر تحصينا بها أمام ما يواجهه في الواقع المعيشي، وهنا تظهر مدى قدرته على تمثل أخلاقه، إذ ليس من المعقول أن تبقى الأخلاق في دائرة القول، بل لا بد من اختبارها

بالممارسة الفعلية في عالم الماديات، ليتم إثبات جودتها وصمودها، فمن السهل على أي إنسان أن يدعي تمثله لمنظومة أخلاق قوية وينزه بذلك قيمه الأخلاقية تنزيها كاملا على المستوى التنظيري، لكن من الصعب جدا أن يكون ادعاؤه مطابقا لواقع تصرفاته الحقيقية. أغلب الناس اليوم يعتبرون أنفسهم متفوقين أخلاقيا؛ فيقومون باستعراض الأخلاق والتباهي بها ولا يكفون عن الإعلان عن كونهم من الأخيار وغيرهم من يحمل السوء والشر، كما أن التبجح بالأخلاق شائع بكثرة في العالم الافتراضي باعتباره مساحة مفتوحة ونشطة تسهل لهم تلك العملية بشكل كبير؛ سواء عبر التعبير عن صفات أخلاقية مصطنعة أو من خلال اتهامهم للآخرين بقلة الأخلاق أو انعدامها. على كل واحد منا أن يعود إلى نفسه، وأن يسألها عن حقيقة الأخلاق التي تحملها ومدى صدقها وثباتها؛ بعدم اقترانها بالمظاهر والجوانب المادية و المصلحية وغيرها من المتغيرات الزائلة . إن انفصال الناس عن الأخلاق الإنسانية النبيلة له صور متعددة في هذا الزمن الذي شاع فيه الزيف في كل شيء، ويمكن جمع تلك الصور في الانجراف نحو الماديات والانغماس في حب المظاهر وتحقيق المنافع الشخصية بدون أي حس إنساني، بالرغم من أن الناس اليوم أصبحوا أكثر تفاخرا وتغنيا بالأخلاق التي يزعمون التوفر عليها ظاهريا، لكن في عمقهم وجوهرهم لا أثر لوجودها البتة، وهذا ما يدل على عدم اتساقهم مع ذواتهم، فما يهمهم هو إظهار الصورة التي يريدون أن يراها الآخرون عليهم على أنها واقعهم مع أن صورة أخلاقهم الحقيقية مشوهة ومعطوبة.

### 5- أيديولوجيات الشعر الحديث وتنوعاتها

فمن الجلي أن الذاكرة جزء من عالم الإيديولوجيا والوهم والخداع الذاتي، وهي في الواقع مواد فنية للأديب، يعبر عن إرادته:" برؤية شجرة على شكل شجرة وصورة على شكل صورة، وهذا يمثل مقاومة ضد كل القوى المختزلة التي تشوه الإنسان وقضيته"[1]، لذلك سعت الكتابة إلى الإجابة فكريا وجماليا عن السؤال المتعلق بذاكرة محمود أمين العالم كمعادل موضوعي لذاكرة الوطن والمتمثل في مصر،

[1] ميلان كونديرا، كتاب الضحك الشيطاني: تر: أزهر الجوهر وأحمد عزيز سامي، منشورات نابو، ط1، 2018، ص 73-80

فهو ينطلق من حركة التجار والعلماء والمثقفون ورجال الجيش من الوطنيين، تتضافر جهودهم لتحرير ميزانية مصر المنحطة، يُسقط الأمر نفسه عن الشعر المصري في ذلك الزمن وتعيين ماهيته، بهدف استدعائه في غياب الوطن الجغرافي وسيطرة الاستعمار . فغياب الوطن الذي ظل موطن التفكير الأدبي وخصوصا تأليف الشعر، وقد ترتب عنه أن ظلت حقيقته هو الوجود الموجود، لا يستطيع الإنسان التوقف ليجعل منه تمثلا لامتناهي الأبعاد، ومصيرا ذاتيا وإنسانيا، لذلك من الضروري التفكير في هذا المصير الذي يضرب بجذوره في عمق الذاكرة الوطنية، ووطن الذاكرة. من هنا فالشاعر البارودي كان لشعره : " صدى رائع لهذه الحركة الناهضة، لمعركتنا الأولفي بناء قوميتنا المصرية " [1]وهو ينشد الوطن، ولقد عبر البارودي أصدق تعبير عن أحاسيس الطبقة الحاكمة، وهي في طريقها للنمو والتطوير، و كان همّه أن يجعل ذاكرته تتواصل مع الواقع، وفي الوقت نفسه يبحث داخل الوطن الذاكرة عن الانتماء والتاريخ والجغرافيا، : " لقد اتخذ صياغة تقليدية خالصة لنقل تجاربه الحقيقية والتعبير عن واقعه الأصيل . " [2] ظل البارودي يشعر عن السلطة الحاكمة لعيشه في طبقة راقية ولم يعبر عن القاعدة الشعبية العريضة، ولهذا فكانت : " صياغته تتصف بالعتاقة والاستعلاء والوقار " [3] . وعموما فالشعر والشعراء بمصر خلال القرن العشرين يتسم بمجموعات ثلاثة لكل منهم وجهته ورأيه المميز وقد وضحها محمود أمين العالم كمايلي:

**تيار أيديولوجي:** يحمل ذهنيات السلطة يحمل مشاعر القومية المصرية، تحدثوا عن القضايا الجوهرية الكبرى أي العميقة كشوقي، وحافظ، ومطران، فتركز شعرهم عل طبقة حاكمة وعائلات عريقة في أصلها وجذورها التاريخية لها الوجاهة والسلطة، وكأن الشعر مشحون بأيديولوجيا سياسية،ولقد تمسك هؤلاء الشعراء بالطريقة التقليدية وعملوا على تطوير اللفظ والمعنى نوعا ما:" ولقد تمسك شعراء هذا التيار الأول بالصياغة التقليدية، إلا أنهم تمكنوا من تطوير قيمها في حدود

[1]- محمود أمين العالم: في ثقافتنا المصرية، ص 76.
[2]-المرجع نفسه، ص 77.
[3]-المرجع نفسه، ص.78.

اللفظ والمعنى فحسب، وإن احتفظوا بالقيم الشكلية القديمة مع استحداث تغيرات جانبية، وإن لم تكن حاسمة."[1]

ومن المهم أن نشير إلى أهل هذا التيار كانوا شعراء القضايا العامة،القضايا القومية والتحيز الوطني والعربي،كما عالجوا بعض القضايا الاجتماعية لمجتمعهم المصري، وقد جذب معهم هذا التيار فئة كبيرة من الشعراء، يتفقون معهم في الصياغة، ويختلفون معهم في أيدويوجيا السياسة من بينهم " الغاياتي" و" الكاشف" اللذان يمثلان تيارا وطنيا يعكس مفهومات الحركة الاستقلالية التي بشر بميلادها الحزب الوطني في زمانهم. وعلى الرغم من أن :" موقف الغاياتي والكاشف من القضايا الوطنية مختلف كل الاختلاف عن موقف حافظ وشوقي ونسيم، إلا أنهم يتفقون جميعا في الصياغة التقليدية للقضايا العامة ...وهذا ما يميز التيار الأول في الشعر المصري الحديث " [2].ولعلنا ذكرنا نخبة زاحمت بأشعارها الساحة الأدبية في عصرها وبالكتاب تمثيلات لأشعارهم تكرس الروح الوطنية وتشد بلجام القومية .

[1]- محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية، مرجع سابق، ص 79.
[2]- مرجع نفسه، ص81.

# خاتمة

**خاتمة**

ونحن على تخوم هذا العرض الشيق حاولنا فيه أن نتحامل على جهدنا في الوصول إلى إجابات تقارب سؤال إشكالية الإيديولوجية والواقع المطروحة في مقدمة هذه المذكرة،نعترف أن مناط أي مقاربة نقدية لا يشترط فيها أن تجيب بقدر الأسئلة المطروحة سلفا .بقدر ما قد تفتحه من أسئلة أخرى أكثر اقترابا من كنه الظواهر الواقعية والإيديولوجية بل والأجدر بأن تطرح هذا من جهة، ومن جهة مغايرة فقد أدركنا عبر هذه المذكرة أن الإيديولوجية غير مقتصرة على النقد الغربي ونصوصه فقط، فهي غزت بفكرها ونهجها العالم العربي ونقاده ومبدعيه في نفس الآن .لقد هتكت الواقعية الستار الغيبي الذي يحجب الأذهان عن ما وراء البنية النصية فيفضحها وفق عقل القارئ المعرفي، مسفرا عن القيمة الفنية الغامضة بالنص فيُجلّيها ويبعد عنها الغموض. ولو حوصلنا جني بحثنا وتطوافنا بين العناوين الغربية والعربية على السواء،ودراستنا للموضوع نوجز ذلك في جمل نتمنى ألا نُخل بعناصر مهمة على أخرى ذات درجة أرفع منها:

- لا يمكن تحديد وضبط مفهوما قارا للإيديولوجية لحداثته النقدية وعدم وروده بالمدونات العربية العتيقة وصعوبة تحديدآليات المصطلح والتحليل لحيثياته إلا بتحديد المعيار الذي ينزاح به كل نص أدبي، والمعيار سيكون هنا متغيرا وغير ثابت لتغير النصوص والدلالات والثقافات عبر العصور،ودرجة الوعي والاطلاع التي تختلف باختلاف المتلقين والقراء للنصوص الإبداعية، لذا يبقى تحديد آلية وضبط تحليل إيديولوجي عصي المراس عن الممارسة النقدية،ويبقى مادة زئبقية متفلتة من القبض على كنهها وفحواها.
- بعد طوافنا عبر المدونات والبحوث الأكاديمية حول ما كتبه محمود أمين العالم،وقفنا عند العديد من بحوثه ومؤلفاته التي أدرجت بتضاعيفها الكثير

من الإيديولوجيات التي توحي بطريقة أو بأخرى إلى الروح الحداثية التي خرجت من معطف الواقع الاجتماعي.

- يحاول عرضنا أن لا يقف أخرس مشدوها محايدا أمام هذا الزخم المعرفي والنقدي، بل بحثنا عن مدى تجسيد الواقع والإيديولوجية كمصطلح نقدي معاصر مبثوث في البحوث العربية المعاصرة، فقد وجدنا أزيد من نقاد الغرب من تداولوا هذا المصطلح وطبقوه على النصوص، بداية من محمود أمين العالم، طه حسين، توفيق الحكيم خالدة سعيد، يمنى العيد، صلاح فضل، أنيس عبد العظيم، ..إلخ.

نأمل أننا قد وضعنا نقاطا دالة على حروف لم تعجم، وفتحنا شهية قارئ واحد على الأقل في أن يسهب ويثري ويتمادى به فضوله كي يوسع دائرة البحث حول موضوع الواقع والإيديولوجية أكثر مما تجرأنا عليه. فإن أصبنا فمنه عزوجل وحده، وإن قصرنا أو جانبنا الصواب فمن أنفسنا، والله من وراء القصد.

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع .

**المصادر و المراجع :**


ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 1997، مج6، ص 475، مادة(وقع).

- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، ج1،مجلد2، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط2، 2008م، 1429ه .

- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا،د ط،د ت.

- محمد عناني، المصطلحات الادبية الحديثة دراسة و معجم انجليزي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996.

- عبد الله العروي، مفهوم الايديولوجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5 1993.

- بلحسن عمار، أدب الايديولوجيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984

- ابراهيم زكرية، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر الفجالة، مصر، د ت، د ط.

-حميد الحمداني : النقد الروائي والإيديولوجية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1 ، 1990

- عزام محمد، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001.

- البحيري سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997.

- خليل إبراهيم محمود، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر، عمان، ط1، د.ت.

- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، د.ط، 2008.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،1992.

- الخطيب محمد كامل، الرواية والواقع،دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981،

- حبيبة الصافي، سيميائيات أيديولوجية، التاليا للدراسات والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011،

- محمد نديم خشفة، المنهج البنيوي لدى غولدمان، مركز الإنماء الحضاري، سوريا،ط1، 1997

- رفيف رضا صيداوي، الرواية العربية بين الواقع والتخييل، دار الفارابي بيروت، لبنان، ط1، 2008،

- فيصل الأحمر،دراسات في الآداب الأجنبية، دار الألمعية للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2013

- صلاح فضل،منهج الواقعية في الإبداع الأدبي،دار عالم المعرفة للنشر،القاهرة، مصر،د.ط،1992،.

- شلتاغ عبود شراد، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، ط1،1998

- رشيد بوالشعير، الواقعية وتيارها في الآداب السردية الأوروبية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1996

- حسين مروة ،دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.

-محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

- عزالدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر ط9،2013.

- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر،ط5، 2007.

- واسيني الأعرج، النزوح الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية

- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، أغسطس، د ط، 2003 .

عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات ونصوص لأبرز العلام ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، د ط، 1999.

- محمد زكي العشماوي، دراسات النقد الأدبي المعاصر،دار المعرفة الجامعية (الأزاريطة) مصر، د ط، ، 2005.

- نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،د ط،1984 .

-حسام الخطيب،الأب الأوربي، تطور ونشأة مذاهبه، مكتبة الأطلس، دمشق، د ط، 1972.

- شايف عكاشة، اتجاهات النقد المعاصر في مصر، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د.ط، 1985.

- محمود أمين العالم و آخرون، الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1 ،1986 .

- عبد الله عسكر، الصدام الإيديولوجي وهوية الذات، مكتبة الأنجلو مصرية، ط1، 1994.

- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزاف في الفكر العربي المعاصر، مكتبة الاسكندرية، مصر، د.ط، د .ت.

-محمود أمين العالم: في الثقافة المصرية

- محمود أمين العالم، مفاهيم وقضايا إشكالية، مكتبة الاسكندرية، مصر، د.ت.

-محمد داود فائزة: على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد،وزارة الثقافة السورية،ط1 ،2014.

-محمدي محمد محبوبة، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة للكتاب سورية،(د.ط)،2014.

- شفيع السيد: اتجاهات الرواية العربية، دار الفكر العربي،مصر،ط3، 1996.

- محمود أمين العالم، الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، دار المستقبل العربي، القاهرة. مصر د.ط.

- سليمان حكيم اعترافات شيخ الشيوعيين محمود أمين العالم. ط1 مكتبة مدبولي القاهرة، 2006 .

- صلاح عيسى، شخصيات لها العجب، ط2، نهضة مصر للطباعة والنشر 2012 .

- أحمد عبد الحليم عطية واخرون : دراسات مهداة إلى محمود أمين العالم في عيده الماسي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1999 .

-محمود أمين العالم ، معارك فكرية.

**<u>الكتب المترجمة :</u>**

--ريمون بودونوفراسو بريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع،تر: سليم حداد،ديوان المطبوعات الجامعية،د.ت، د.ط.

كارل ماركس، فريدريك انجلز والأيديولوجية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق،د.ط، د.ت.

-بول ريكو، محاضرات الإيديولوجيا واليوتيوبيا، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2002.

- تيري إجلتون، النقد و الإيديولوجية، تر" فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان الأردن، د.ط.

- السبرغياكوف، المنحى السوسيولوجي في النقد الأدبي، تر: نوفل نيوف، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد كتاب العرب، دمشق،ع1، 1978.

- بيوتي جان مارك، فكر غرامشي السياسي، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت، ط1، 1975.

- بيير زيما، النقد الاجتماعي، نحو علم اجتماع النص الأدبي،تر: عايدة لطفي، دار الفكر، مصر،ط1، 1991.

-فيليب غان تيغيم، المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، تر، فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت لبنان،ط3، 1983.

- كيمن كرانت، موسوعة المصطلح النقدي،تر: عبد الواحد لؤلؤة،المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، بيروت.

-كاثرين بيلسي: الثقافة والواقع، نحو نظرية للنقد الثقافي،ترجمة :باسل المسالمة،مكتبةالتنوير،دمشق سوريا، 2017.

- نيكلاوسآركومي وآخرون، دور الحتمية واللاحتمية في النظرية الإيديولوجية،تر: نبيل زين الدين، مجلة فصول،العدد3، ماي 1985.

-والاس مارتن: نظريات السرد الحديث،تر: حياة جاسم محمد،المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

## المقالات و الدوريات:

- د. الطيب بودربالة، د. السعيد جابا الله، الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005 .

- جي بويللي، اجتماعية الأدب، حول اشكالية الانعكاس، مجلة فصول، العدد الثاني،مجلد1، 1981

- فيصل الأحمر ونبيل داود، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة الجزائر، د.ط، 2008،ج1.

- أحمد برقاوي: ما التنوير؟ الطريق ع/3، مايو/يونيو 1996.
-عبد المجيد لبصير: موسوعة علم الاجتماع، دار الهدى عين مليلة الجزائر2010.

# ملخص

**ملخص :**

يعد تجلي الإيديولوجيا بالخطابات عامة من أهم الأطروحات التي تتنسم ذرى السلالم القيمية العليا في ثقافتنا العربية، وقد شهدت الساحة النقدية زخما كبيرا،حيث تناولت هذه الظواهر في غاية الدقة و الحرج، حيث ازدادت اتساعا و عمقا لأن المبدع لا يعيش بمنأى عن واقعه، فقد أدركنا عبر هذه المذكرة أن الايديولوجيا غير مقتصرة على النقد الغربي و نصوصه فقط،إذ نجدها غزت بفكرها و نهجها العالم العربي ولقد هتكت الواقعية الستار الغيبي الذي يحجب الأذهان عن ما وراء البنية النصية فيفضحها وفق عقل القارئ المعرفي ولا يمكن تحديد مفهوم قارا للايديولوجية لحداثته النقدية.

**الكلمات المفتاحية:** النقد ،الايديولوجيا ، الواقعية ، الفلسفة ، المجتمع.

**Summary**

The manifestation of ideology through discourses in general is one of the culture ,and the critical arena has witnessed great in breadth and depth because the creator does not live in isolation from his reality , we its texts only , as we find that it has invaded the arab world with momentum , have realized through this note , ideology is not limited to western criticism and as it dealt approach , with these phenomena in a very precise and embarrassing , as it increased its and realism has broken the metaphysical curtain that is beyond the teztual structure , exposing it accoding to the mind of the cognitive reader .thought and

**Key words** criticism , ideology , realism , philosophy , society .

# فهرس الموضوعات

# فهرس الموضوعات

**الشكر والتقدير**

**الإهداء**

**مقدمة.....(أ، ب، ج)**

**مدخل.....(7-12)**

**<u>الفصل الاول</u>: بين النقد الأيديولوجي و النقد الواقعي.....(15-41)**

**I- الأيديولوجيا بين المفهوم و التنازع النقدي .....15**
**الاطار المفاهمي للأيديولوجيا .....15**

**1.1- الأيديولوجيا وتنازعها النقدي مع العلوم الأخرى.....17**

أ- الايديولوجيا و الفلسفة .....17
ب- الايديولوجيا و الأدب .....24
ج- الايديولوجيا و النقد .....25
د- الايديولوجيا و الواقع .....29

**II- الواقع بين المفهوم و التأسيس :.....31**
**1-الواقع** :

أ- لغة.....31
ب- اصطلاحا .....33
ج- النقد الواقعي عند العرب .....35
د- النقد الواقعي عند الغرب .....37
2-**اتجاهات الواقعية** :.....38

أ- الواقعية الطبيعة .....38
ب- الواقعية الاشتراكية .....39
**ج-** الواقعية الانتقادية .....41

**<u>الفصل الثاني</u>: محمود أمين العالم في ميزان الواقع و الأيديولوجيا مع كتاباته....(44 -78)**

**I- الأيديولوجيا عند محمود أمين العالم.....44**

**1- الأيديولوجيا في كتابه : الرواية العربية بين الواقع و الايديولوجية .....44**
**2- ملامح الايديولوجيا في كتابه الوعي و الوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر 45**
**3- حصاد المعركة وما تحمله من ايديولوجيا بكتابه في الثقافة المصرية .....51**
1.3- شخصيات المسرحية بين ثنائية الواقعي/ الايديولوجي.....55
2.3- الشخصيات الرئيسية.....56
3.3- الشخصيات الثانوية الفاعلة.....58
4.3- الشخصيات الهامشية.....59
**II-النقد الواقعي في كتابه محمود أمين العالم.....61**
**1- الواقع و اللاواقع في كتابه مفاهيم وقضايا اشكالية .....61**
**2- الواقع و الثقافة في مصر .....62**
**3- محمود أمين العالم و الواقع الاجتماعي و دعوته للتجديد .....69**
**4- سؤال الوجودية و الواقع ؟ و حديثه عنها في كتابيه في الثقافة المصرية ومعارك فكرية.....71**
**5- أيديولوجيات الشعر الحديث و تنوعاتها.....76**
**خاتمة.....80**
**قائمة المصادر والمراجع.....83**
**ملخص.....90**
**الفهرس.....93**